رؤية المدينة بعيني الله

بقلم: فلويد مكلونج

رؤية المدينة بعيني الله

كيف يمكن للمسيحيين
مواجهة تحديات المدينة؟

بقلم

فلويد مكلونج

Floyd McClung

ترجمة

د. فريد فؤاد عبد الملك



مكتبة المنار

Lighthouse Book Center

طبعة أولى أكتوبر ١٩٩٩

رؤية المدينة بعيني الله

English Title: Seeing the city
With the Eyes of God

تأليف: فلويد ماكلونج

Author: Floyd McClung

ترجمة: د. فريد فؤاد عبد الملك

Published in Arabic by
permission from the author.

الناشر للنسخة العربية:
مكتبة المنار

Arabic publisher:
Lighthouse Book Center

١٧ ش مراد الشريعي – سانت فاتيما
مصر الجديدة – مصر

17, Mourad El-Sherei,
St. Fatima
Helioplois, Cairo, Egypt

ت : ٢٤٩٥٠٣٠
فاكس : ٥١٩١٠٧٧

Tel : (202) 2495030
Fax : (202) 5191077

رقم الإيداع بدار الكتب: ١٠٠٩١ / ١٩٩٩

الترقيم الدولي (ISBN): 977-5674-27-1

المحتويات

الفصل صفحة

مقدمة ٥

القسم الأول: قتال من أجل المدينة ٩

١ – القوات الفاعلة ١١

٢ – تمييز الأرواح في المدينة ٣٣

٣ – المصادمات مع القوات الشريرة ٤٣

القسم الثاني: معنى المدينة ٧٥

٤ – البحث عن مدينة بانيها هو الله ٧٧

٥ – أساطير عن المدينة وحقائق من الكتاب المقدس ٩٥

القسم الثالث: الكنيسة في المدينة ١٢٩

٦ – وجود مجسم ١٣١

٧ – رسل إلى المدينة ١٤٣

٨ – البحث عن بدو المدن أو البدو المتحضرين ١٧٧

٩ – سياسة البلوغ إلى المدن ١٨٩

القسم الرابع: العائلات التي في المدينة ٢٠١

١٠ – الأبوة في خطر ٢٠٣

١١ – عائلات لها رسالة ٢١٥

مقدمة

قصة مدن عديدة

تعد هجرة الإنسان إلى المدينة من أضخم الهجرات في تاريخ البشرية. وهي تمس حياة كل إنسان على هذا الكوكب. فالانفجار السكاني في المدن المزدحمة كثيفة التعداد يؤثر بصورة جذرية على السياسات الاقتصادية والاستراتيجيات السياسية لها.

وتجتذب بعض المدن - كمراكز صناعية - مئات الآلاف من البشر الطامحين في العمل. كما تغري بعض المدن الأخرى - كمراكز ثقافية وتعليمية - شباب الأمة إليها. وهناك مدن أخرى - باعتبارها مقراً للحكومات والإدارات - تتحكم في توزيع السلطة والثروة في الأمة.

وليس هناك مهرب من نفوذ وسلطان المدينة فقد أصبحت المدينة هي القوة الاجتماعية السائدة والمهيمنة في العالم. فالمدن هي قمة المجتمعات وفيها تولد الأفكار والأيدولوجيات والموضات والاتجاهات المختلفة، من داخل بوتقة الانصهار في حياة المدينة ثم تتدفق منها لتؤثر في حياة الناس جميعاً.

فما هو رد فعل الإنسان المسيحي تجاه المدينة؟ هل نعتبرها تهديداً لنمط الحياة الهادئة الآمنة؟ وهل نتجنب المدينة كقلعة للشر؟ وهل نفعل كل ما في طاقتنا حتى لا نتلوث بسكانها أو نتعرض للخطر من جهتهم؟

إننا نحتاج – بالتأكيد – إلى تفهم الفكر اللاهوتي عن المدينة ، فكراً متأصلاً في الحق الكتابي للكتاب المقدس. ولابد أن نبحث في كلمة الله لنجد التجاوب المناسب نحو المدينة. فليس أمام الإنسان المسيحي الملتزم حقاً – سوى هذا المدخل.

إن استيعاب مقاصد الله السامية تجاه المدينة أمر ضروري لو أراد المؤمنون أن يُظهروا الإيمان والإستنارة اللازمين للتجاوب مع التحديات الحالية التي تواجه المدينة مثل البطالة والطلاق والتشرد والإدمان والتفرقة العنصرية والتوتر العرقي.

وتُعد المدن مغناطيساً يجذب إليها الأطفال الهاربين المشردين الذين تصعب معيشتهم في بيوتهم التي يجدون فيها الرفض والضرب والإذلال. وتكتظ دور الأيتام – بازدياد – بالأولاد الذين يرفضهم آباؤهم وهم على قيد الحياة.

ولعلنا نجد في طريقة معاملة المجتمع للخارجين عنه سمة

أخلاقية مميزة لهذا المجتمع. فنحن ندين المجتمعات الغربية الحديثة بشدة، ليس فقط بسبب طريقة معاملة الأطفال بل أيضاً لتسبب هذه المجتمعات في الإساءة إليهم. فلم يحدث من قبل - على الإطلاق مثل هذه الزيادة في الثروات مع قلة العطف والحنان.

ويبدأ الكتاب المقدس بالجنة وينتهي بالمدينة - فتشمل مقاصد فداء الله لكل إنسانٍ مجتمع المؤمنين الذين يحبون الإنسان ويقبلونه معلنين السبيل لغفران الله. وتشير مدينة الله السماوية المذكورة في سفر الرؤيا إلى أسلوب الحياة الذي ينبغي أن يبدأ في مدينة الإنسان الأرضية. فإذا تجاهلنا المدينة فمعنى ذلك أننا نبتعد عن مقاصد الله الأبدية في العدل والخلاص لكل خليقته. أما قبولنا لهذا التحدي فهو إحتضان لدعوة الله للبحث عن سلام المدينة ... وطوبى لصانعي السلام ...

القسم الأول

قتال من أجل المدينة

الفصل الأول

القوات الفاعلة

لقد أفصحت نظرة الشك على وجه ساكن المدينة القادم من القرية عن كل شيء. فتحولت ريبته إلى ابتسامة بل إلى قهقهة عندما جلس ليستمع إلى حديثي. فبسبب مقاومته لحديثي صار صعباً عليّ التركيز فيما أقول. فقد كنت أتحدث إلى مجموعة من المسيحيين من ضواحي المدينة، مقدماً لهم نظرة الكتاب المقدس إلى المدن، وهو الرأي الذي أوضح أنهم وجدوا صعوبة في قبوله.

وصرّحت لهم بالقول: "إن نشأة المدينة هي من أفكار الله. فعندما خلق الله آدم وحواء كان قصده أن يعمر آدم وحواء ونسلهما جنة عدن". وواصلت حديثي متطلعاً إلى النظرات المرتابة على وجوههم قائلاً: "عندما نفكّر في مدينة يكون في أذهاننا صور سلبية أولاً، مبنية على التقارير الإخبارية عن عنف العصابات وحروب المخدرات، والشباب العاطل، والناس المشردين. لكن، حاول أن تتصور ما شكل الجنة بدون خطية،

ماذا لو أطاع آدم وحواء كلام الله؟".

وحاولت مساعدة الحاضرين في تخيل جنة عدن بدون السقوط. فلو أن كل السكان أطاعوا الله وراعوا المصادر الطبيعية التي لديهم - بشكل خلاّق وبدون أنانية، فما النتيجة؟ وأي مجتمع ذاك الذي سيتكون لو وجدت الوحدة والتجانس بين السكان في علاقاتهم وتفاعلاتهم الاجتماعية؟ وبازدياد عدد السكان ستنشأ مدينة صغيرة مختلفة تماماً عما نعرفه اليوم.

عندما نفكر في المدن فإننا نصوّر مناظر ازدحام الناس في مناطق حضرية مكتظة وفقيرة ومناطق سكنى اليهود. كذلك فإننا نفكّر في الحجم - أعداد ضخمة من الناس وكمية ضخمة من المشاكل. إلا أننا عندما نضع هذه المشاكل في منظور كتابي لابد أن نتذكر أن خطة الله الأصلية ارتبطت بالمجتمع - بجماعة العهد المجتمعين في موضع يخدمون الله. وبدون هذا المفهوم تصبح صورة مجتمع المدينة - اليوم - سلبية، بناءً على المشاكل القائمة. ولكي نعي مفهوم المدينة - كتابياً، لابد من الرجوع إلى القصد الأصلي لله نحو البشرية. وبدون هذا الأساس سيتكون لدينا - على أفضل الأحوال - صورة ناقصة للمدينة، وعلى أسوأها فكرة مدمرة ومنحرفة عن المدينة تؤدي إلى هجر المدن

تماماً.

إن الحاجة إلى فكر لاهوتي عن المدينة أصبح مُلِّحاً. فالاعتقاد بأن المدن هي شر متأصل سيؤثر ليس فقط على سلوكنا تجاه المدينة، بل أيضاً على مفهومنا لدور الكنيسة في المجتمع الحديث. وبرغم أنه كان يجب على الكنيسة أن تنشئ منذ أمد بعيد - فكراً لاهوتياً عن المدن، بدافع الرغبة لتفهم واستيعاب قول الله "اكثروا واملأوا الأرض" فإننا مجبرون الآن على الإستجابة لهذا - بسبب تحضُّر كل الكوكب وتحولّه إلى مدن. فلا يمكن تجاهل المدن فيما بعد.

تبنى معظم تعريفات المدينة - للأسف - على التفسيرات الإجتماعية لوظيفة المدينة. وبينما من المفيد أن نتفهّم هذا المنظور إلا أن الأهم هو تفهم قصد الله من خلق الإنسان تطلعاً نحو المدينة كمجتمع.

لقد أسر إليّ أحد القادة المسيحيين قائلاً: "خلق الله الأرض، لكن الإنسان هو الذي أنشأ المدينة. فمن نتائج عصيان الإنسان لله أن شرع قايين في بناء أول مدينة. وكان هذا بمثابة بناء لمجتمعه الخاص مبيناً أنه لا يحتاج إلى الله ولا يريده. وهكذا ومنذ ذلك الحين، صارت المدن أماكن تجمُّع للخطاة، ولكل

مشاكلنا. والشيطان الآن يحكم المدن بسبب خطية الإنسان ".
وليس هذا الرأي منفرداً، وبالتالي فلا عجب ألا يكون للكنيسة سوى تأثير قليل على المدينة.

لقد اكتشفت فيما بعد أن الفلاح الذي ذكرته في البداية – قد فقد كل ما يملك في الجفاف، واضطر إلى إيجاد عمل له في مدينة مجاورة. فمن جهة أحس الفلاح أن الله قد استخدم احتياج الفلاح للعمل ليحضره إلى المدينة، لكنه من جهة أخرى أحس أن المدينة لا أمل فيها وأن مصيرها هو الهلاك. وقد حاول أن يحب الناس المحيطين به لكنه أحس بأنه في منطقة عداوة. يحيا الكثيرون من المسيحيين بهذا التوتر، شاعرين باضطرارهم إلى حب المدينة مع نفورهم منها في أعماقهم. وقد أدى هذا التوتر ببعض المؤمنين إلى إلباس ردود أفعالهم الروحانية لتبرير رفضهم للمدينة، مبتدعين فكراً لاهوتياً عن الهروب، مؤداه أن الله ضد المدينة وأن المدينة تحت دينونة الله. ويرون في المدينة شراً متأصلاً. ففشلوا ليس فقط في إدراك مقاصد الله في جذب الناس إلى المدينة، بل وأيضاً في التجاوب مع محبته لساكن المدينة.

وتسقط المدن – كمثل ساكنيها. وبرغم أن حياة المدينة وقوتها

من ذاتها، إلا أن المدينة هي الناس - مجموعة من الأفراد. وللمدينة قيمة ومكانة لدى الله - كأفراد وكمجتمع. وكما أدركنا - كأفراد - أهميتنا وقيمتنا لدى الرب - برغم خطايانا، فكذلك للمجتمعات أو الجماعات مكان في خطة الله. وكما تعلمنا أهمية أن نحب الإنسان المحتاج لأنه مخلوق على صورة الله، كذلك لابد أن نتعلم أن نحب المدينة المسكينة لنفس السبب.

وبدون أن يتكون لدينا رأي لاهوتي كتابي عن المدينة فإننا نستسلم إلى التشاؤم السائد حولنا، فيتكون لدينا يأس ينجس حبنا للمدينة وإيماننا بها. وهناك حالة من عدم الثقة بالمدينة تنتشر بالفعل داخل الكنيسة. وواضح أنها تجتث الوصية لنا بأن نكون ملحاً للأرض ونوراً للعالم.

إن قصد الله من الكنيسة هو أن يكون لها دور في القيادة الروحية والأخلاقية في المجتمع الحديث. فإن كان السلوك الأولي تجاه المدينة سلبياً فكيف يتسنى للكنيسة قيادة المدينة من خارجها؟ إنك لا يمكن أن تقود بنجاح إنساناً لا تحبه. فطبيعة القيادة الروحية مبنية على الحب والعلاقة والارتباط.

إن أقوى تأثير للكنيسة على المجتمع يتم من خلال الصلاة. لكن بدون وجود مفهوم كتابي للمدينة لدينا تمتلئ

صلواتنا بعـدم الثقـة.

ومـن الواضح أنـه لـن تنشـأ بيننـا وبـين المدينـة محبـة شـخصية لو كنا نؤمن بأنـها شـر متـأصل. فيـدون تغيـير المفـهوم اللاهوتـي عـن المدينـة سنظل نعتـبر نمـط الحيـاة في الريـف والضواحـي مقدسـاً، فنـبرر هروبنـا مـن المدينـة باهتمامـات روحيـة نحـو الأسـرة، بينمـا الواقع الفعلـي هـو الخـوف والأنانيـة.

في الفصـول اللاحقـة سنكتشـف معـاً قصـد الله وخطتـه نحـو المدينـة، ولكـن لنبحـث أولاً فكـرة الشـر في المدينـة. لـو لم يكـن متـأصلاً وراثيـاً فمـن أيـن جـاء؟ لكـي نجـد الجـواب، مـن المفيـد أن نتفـهم القضيـة.

الحـرب الروحيـة:

هنـاك كيـان ذاتـي شـرير اسمـه إبليـس أو الشـيطان. وهـو الـذي جـرَّب الـرب يسـوع (مـت ٤ : ١)، وألقـى الخيانـة في قلـب يـهوذا (يـو ١٣ : ٢)، وسـعى لخـداع بطـرس (مـت ١٦ : ٢٣)، ومـلأ قلـب حنانيـا وسـفيرة بالكـذب (أع ٥ : ٣). وهـو يجـول كأسـدٍ زائـرٍ ملتمسـاً مـن يبتلعـه (١بـط ٥ : ٨)، وهـو أحيانـاً يغـير شـكله إلى شـبه مـلاك نـور (٢كـو ١١ : ١٤).

يعترف كل المسيحيين – كمؤمنين بالكتاب المقدس – بحقيقة الشيطان – إبليس. والحرب الروحية حقيقة كذلك. وما يثير الأسئلة هو طبيعة تلك الحرب. ولعل واحداً من أعظم خطط وتكتيكات الشيطان في مهاجمته لشعب الله هو أن يجرنا نحو الصمت عن الحديث في هذا الأمر. فنحن نخشى الشطط في القول. وقد تعلّمنا أننا لو تركنا الأمور كما هي لما أثرنا أمامنا المشاكل، أو على الأقل هذا ما نحب الاعتقاد بأنه سيحدث.

لو أن هنالك حقاً كياناً روحياً ساقطاً اسمه إبليس، الشيطان، وأنه يقود جيشاً من الأرواح الشريرة التي تحارب القديسين، فإنه من أكبر الحماقات أن نتجاهل هذه الحرب، أو نتعامل معها باستخفاف.

إنني لم أدرك هذا دائماً. وأتذكر أنه عند حديثي في نيوزيلندا سنة ١٩٧٧ إلى مجموعة من الطلبة، سألني أحدهم عن معتقداتي بخصوص الشرير والحرب الروحية. فقلت له: "يحب الشيطان الخطية والخوف والقلق، ولن أعطيه فرصة لأي من هذه الثلاثة". وظننت أنني برفضي إفساح الوقت لمناقشة هذا الأمر قد تعاملت مع هذا السؤال بطريقة مناسبة. ولكن في تلك الليلة وأنا وحدي، وأمامي متسع من الوقت للتأمل

في أحداث ذلك اليوم، اجتزت إحساساً عميقاً بالندم. ولم أدرك أنني أخطأت، لكنني أحسست أنني - بصورة ما - قد أحزنت الروح القدس خلال ذلك اليوم. فانحنيت مصلياً طالباً من الرب معرفة ذلك الخطأ. فمر بذهني إجابتي عن سؤال ذلك الطالب. وسمعت داخلي صوتاً خفيضاً يقول لي "إن الإحباط في إجابتك. فمعرفتك بعالم الشر ومملكة إبليس قليلة، وليس لديك سلطان على الشيطان كما كان لتلاميذي سابقاً. إن إجابتك تعكس مخاوفك الشخصية".

وأصابني أنني فعلاً لم أعرف شيئاً من قبل - عن الحرب الروحية. كما أنني لم أتح الفرصة للرب ليعمل من خلالي لتحرير إنسان مسكين من عبودية إبليس. لقد اخترقت كلمات الرب لي في تلك الليلة - أعماق نفسي. فليس لدي في هذا المجال - سلطان روحي. فقد فرغت حياتي بشدة مما كان أساسياً في تدريب تلمذة المؤمنين الأوائل للرب يسوع. فقد ملأ الخوف إجابتي. فهو خوف، ولو تنكّر في ألفاظ لاهوتية. ولعل هذا الأمر قد خدع بعض الناس لكنه بالقطع لم يخدع الرب - لقد كنت خائفاً من الشطط والمبالغة، خائفاً من المجهول.

لقد انزعجت بشدة لأنني لم أقدر أن أعين المحتاجين

بسبب عجزي الروحي. لقد قرأت في تلك الليلة في نيوزيلندا منذ سنوات مضت قول الرب يسوع: "ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ...." (مت ١٠ : ١). وسألت الرب أن يعلمني عن الحرب الروحية، طالباً منه أن يعطيني سلطاناً روحياً على الأرواح النجسة. وصليت صلاة بسيطة طالباً من الرب يسوع أن ينزع عني خوفي، وأن يعطيني سلطاناً كما أعطى التلاميذ في القديم.

لقد وضعت تلك الصلاة عقلي في إطار التعلم. لم يحدث لي شيء مؤثر خطير أو حسّي، لكنني بدأت أدرس كلمة الله لأكتشف كل ما قاله عن الأرواح الشريرة والقوات الروحية. لقد أردت معرفة كيف يحارب الشيطان الناس. ومن خلال دراستي للأسفار المقدسة لم أكتشف فقط أن إبليس له تكتيكات وخطط تتضمنها أنماط معروفة من الحروب، ولكن اكتشفت أيضاً أن الله قد أعطى المسيحيين أسلحة روحية للدفاع عن أنفسهم ضد هجمات العدو الشرير.

الحرب الروحية في المدينة:

ما هي بالضبط وبالتحديد علاقة الحرب الروحية بالمدن؟

إن أي إنسان مسيحي يعمل أو يحيا في مدينة – سواء في قلبها أو في ضواحيها – يقع في مشاكل جسيمة لو لم يأخذ الحرب الكائنة هناك بجدية. وتتملكني الدهشة من أن مسيحيين كثيرين يجهلون المعركة الروحية القائمة حولهم.

وفي الحقيقة إنني مندهش من أن المبشرين المسيحيين لا يُعلمّون عن هذا الموضوع، أو يكتبون عنه سوى القليل. فلا أجد في اللغة الإنجليزية سوى كتابين عن موضوع الحرب الروحية ودور الكنيسة في المدينة، وهما كتاب "مفهوم المدينة" The Meaning of the City لمؤلفه جاك إيلول Jacques Ellul، وكتاب "توجيه المدن نحو الله" لكاتبه جون دوسون Taking our Cities for God by John Dawson. ولابد أن يقودنا نقص الاهتمام هذا إلى التساؤل: "هل نسلم مدننا إلى الفساد لأننا نجهل المعارك الروحية الدائرة حولها؟ وهل صرنا فريسة – من غير قصد – لآلات الشيطان؟.وهل نحن محرومون من الأسلحة الروحية المتاحة لنا؟.هل انهزمت خدماتنا وانقسمت كنائسنا بسبب الشيطان؟.هل استهدف العدو عائلات القادة الروحيين والرعاة؟. إنني مقتنع بأن الإجابة عن كل هذه الأسئلة هي نعم، ونعم مؤكدة. وبالإضافة، فإننا عندما نراقب

طبيعة الثقافة الغربية السطحية وميلها نحو تحقيق الذات والقامة والإسراف الاضطراري والسلبية، والتسيب الأخلاقي، لابد أن نتساءل عن دور الشرير في تدهور الشخصية المسيحية. فنحو تغير القرن حدث تحول ثقافي أساسي. وكانت ثقافتنا – قبل ذلك الحين – موجهة نحو أهمية العمل، والادخار، والأخلاق المسيحية والأسرة كنواة المجتمع، بل ونحو إنكار الذات. وقد تضافرت لتشجيع هذا التحول الثقافي قوى كثيرة، كظهور البروتستانتية المتحررة Liberal Protestanism، وفناء القيم المطلقة ونشأة المفاهيم العلاجية بين متعلمي المجتمع ومثقفيه، وقوى التسويق العالمي. وبينما نجد من السهل أن نبسط فجائية التغيرات الحادثة في المجتمع أو اكتمالها، إلا أنه لا يمكن ذلك مع حضارة الاستهلاك الناشئة فهي متفشية.

إن تآكل الأخلاق المسيحية في كل مجالات الحياة ليس مجرد نتيجة لإنكار القيم الكتابية المطلقة للكتاب المقدس. بل إنني أؤكد أن القوى الروحية الشريرة تعمل دائماً عندما يكون الشر حاضراً. إن الشيطان هو رئيس سلطان الهواء. وعندما يصبح الناس عصاةً وأبناءً للمعصية، متبعين شهوات الجسد، مملوئين – بالطبيعة – غضباً فإنه يصاحب هذه الحالة دائماً

سلطان ونفوذ الشيطان (أف ٢ : ٢، ٣). وهناك فرق بين الوقتي الزمني المنظور وبين الروحي غير المنظور.

وقد تجلى هذا في المسرحيات الإغريقية القديمة، فبينما يمثل البشر البائدون على خشبة مسرح، يمثل "الآلهة" على خشبة أخرى. فيشاهد المتفرجون خشبه مزدوجة بتمثيليتين متزامنتين، مترابطتين تماماً، لكن منفصلتين في المنظر. وبالمثل فإن مملكة الروح غير مرئية لكنها حقيقية ومتداخلة مع حياة البشر العادية.

عندما يُستعبد الناس لشهواتهم يصفهم الكتاب المقدس بأنهم "أغبياء غير طائعين ضالين" (تي ٣ : ٣). وينسب الكتاب المقدس حالة السقوط والحرمان هذه إلى أن الشيطان "إله هذا الدهر" قد أعمى أذهانهم (٢كو ٤ : ٤).

تتأثر الثقافة بالقوى الروحية بصورة مباشرة، وهذه لها تأثير قوي على المسيحيين. فيسقط القادة في الانحراف والفساد، وتنشأ مشاكل مادية، وينقسم الناس الأخيار بعضهم على البعض. إن كنائس بأكملها تنهزم وتنقسم بسبب جهلنا بالحرب الروحية وخوفنا منها.

إننا نعرف أن هنالك تحديات عديدة تواجه سكان المدينة، وسنبحث بعضها في فصول لاحقة من هذا الكتاب ... ولكن يلزمنا أولاً أن نعترف بأن هناك دافعاً محركاً آخر يعمل بجانب الضغوط الطبيعية والإغراءات والتجارب الناتجة عن المعيشة في عالم ساقط.

لماذا يواجه المسيحيون في المدينة مشاكل كثيرة؟ هل المشاكل التي يواجهها الناس هناك أكثر من مجرد احتياجهم للتأقلم مع الحياة السريعة المتلاحقة؟ إنني أرى أن هذه المشاكل ليست مجرد نتيجة حتمية للمعيشة في مدينة مزدحمة، بل هي أيضاً جزء من جهد الشيطان للانتصار على أبناء الله.

ولابد لنا أن نأخذ في الاعتبار المشاكل الاجتماعية في المدينة ضمن الحرب الروحية: الفقر والبطالة والدعارة والوحدة والإدمان والعنف وتشرد الأطفال ونبذهم واستغلالهم، والتشرد والإيدز. ما صلة كل هذه الأمور بالقوى الروحية العاملة في المدينة؟ وهل يسعى الشيطان لهدم كل جماعات البشر؟ وهل يستغل ضعفاتهم مستخدماً خطاياهم وخطايا الآخرين نحوهم،كمنصة ينطلق منها ليذلهم جميعاً في عبوديته؟.

إننا نقر ونعترف أن الخطية هي أعظم مشكلة في العالم. ولكن لو أهملنا أو قللنا من دور الشيطان في مهاجمة الناس وهدم حياتهم

لأغفلنا ما تعلمه لنا كلمة الله. لقد عوقب آدم وحواء بسبب عصيانهما لله. إلا أن الشيطان قد لعب دوراً استراتيجياً هاماً في إغوائهما وتجربتهما. وبنفس الطريقة فإنه يجرب كل إنسان اليوم. يقول الكتاب المقدس: "فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف ٦ : ١٢). إن كلمة الله واضحة: فالقوات الشريرة تعمل في العالم والمؤمنون يواجهون حرباً روحية. وفي حين يمكننا بسهولة جداً أن نصور الروحانية والمعتقدات الغيبية في البلدان الأخرى غير الغربية، إلا أنه لزام علينا أن نصور بجدية الحرب الروحية في بلادنا.

في المدينة تهاجم القوات الشريرة الأفراد والجماعات المؤسسات والأنظمة والأخلاقيات الاجتماعية. وخطط وتكتيكات الشيطان في إنهاك قوى الناس موصوفة في كل الأسفار المقدسة. فهو يهاجم الناس ليحدرهم إلى عبودية الخطية والجسد. وهو يحبطهم عاطفياً ليهزمهم روحياً. وهو يستخدم أية وسيلة متاحة أمامه بدون طلب الإذن أولاً.

لا يقدر الشيطان أن يفعل إلا ما يسمح به الرب (أي ١ : ٦-١٢). إلا أن الخطية في حياتنا تعطيه مكاناً يقربنا

منـــه ويجربنـــــا (رو ١ : ١٨-٢٥؛ أف ٢ : ١-٣). ويــــهاجمنا الشـــيطان في أجســـادنا (٢كـــو ١٢ : ٧ ؛ مـــت ٩ : ٣٢، ٣٣ ؛ ١٢ : ٢٢)، وفي أخلاقنـــا (٢كـــو ٢ : ١١)، وفي أفكارنـــا وقلوبنـــا (مـــت ٤ : ١٠ ؛ ١٦ : ٢٢، ٢٣؛ أع ٥ : ٣).

ويسعى الشيطان إلى قيادة الكنيسة إلى الخطأ، ولذلك يحذرنا الكتاب المقدس من ذلك بقوله: "لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله" (١يو ٤ : ١-٣). كذلك ينبه يعقوب الرسول الكنيسة أن هناك حكمة "أرضية نفسانية شيطانية" (يع ٣ : ١٥). بينما يتنبأ بولس الرسول أنه يأتي يوم في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الكنيسة تابعين تعاليم شياطين، تابعين أرواحاً مضلة (١تي ٤ : ١).

يتفوق الشيطان على مؤمنين كثيرين بسبب جهلهم بواقع الخداع الشيطاني وقوته، وبسبب عدم استيعاب التعاليم الكتابية عن عالم الأرواح الشريرة.

القوات الشريرة:

يشير بولس الرسول - باستمرار - إلى حقيقة أن الكيانات الروحية تؤثر على مجريات الأحداث في حياة الكنيسة. ويستخدم

بولس عدداً من الألفاظ ليصف القوى أو الكائنات العاملة – كما سنرى في الآيات اللاحقة، لكنني أفضل التركيز على لفظة واحدة هي كلمة "القوات"، حيث أنها ترتبط بموضوع الحرب الروحية للشيطان مع المدينة.

أما فيما يختص بالألفاظ الأخرى التي يستخدمها بولس؛ الرؤساء، السلاطين، ولاة العالم، أجناد الشر الروحية فيرجّح هنريك بركوف Hendrik Berkhof إنه طالما أن بولس لم يميز بين هذه الألفاظ في المعنى بوضوح، فليس ضرورياً أن نفعل نحن ذلك لنتفهم رسالته (Christ and the Powers, P. 15) إلا أنه من المهم أن نلاحظ أن بولس يوضح – في سياق الحديث – المعنى العام الذي يقصده لكل لفظة.

- "فإني متيقن أنه لا موت، ولا حياة، ولا ملائكة، ولا رؤساء، ولا قوات، ولا أمور حاضرة، ولا مستقبلة، ولا علو، ولا عمق، ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رو ٨: ٣٨، ٣٩).
- "وبعد ذلك النهاية متى سلَّم الملك لله الآب، متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة. لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه" (١كو ١٥: ٢٤، ٢٥).

- "إذ أقامه (يسوع المسيح) من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى" (أف ١: ٢٠، ٢١).
- "... التي سلكتم فيها قبلاً، حسب دهر هذا العالم، حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية" (أف ٢: ٢).
- "لكي يُعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات، بواسطة الكنيسة، بحكمة الله المتنوعة" (أف ٣: ١٠).
- "فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف ٦: ١٢).
- فإنه فيه خُلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين" (كو ١: ١٦).
- "إذ جرد الرياسات والسلاطين، أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه" (كو ٢: ١٥).

من الفقرات السابقة يمكننا أن نكوّن استنتاجات كثيرة حيوية:

١ - القوات والسلاطين خلقها المسيح:

لا يتردد بولس في إعلان أن كل الأشياء خلقت بيسوع المسيح وله، حتى لو كان البعض لا يتمم القصد المخلوق لأجله.

٢ - إنها كائنات روحية ذاتية:

ينسب بولس للقوات خصائص العقل والمشيئة: "الحكمة المكتومة ... والتي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد" (١كو ٢: ٨).

بالإضافة إلى ذلك فإنه يتكلم عن تجريد المسيح للسلاطين أو القوات جهاراً وأنه صيرّهم مثلاً عاماً للجميع (كو ٢: ١٥). فلو كانت السلاطين شيئاً غير ذاتي لما احتاجت إلى الإشهار والإذلال. ومع أن بولس يفصل بين القوات والملائكة في اللفظ (رو ٨: ٣٨) فإن هذا لا يمنع احتمال كون القوات ملائكة ساقطين.

٣ – القوات أو السلاطين تؤثر على الأحداث على الأرض:

إن السلاطين لا تسعى فقط إلى قيادة البشرية إلى كل أنواع الشر (أف ٢ : ٢)، بل أيضاً شاركت في صلب الرب يسوع (١كو ٢ : ٨).

٤ – عمل السلاطين والقوات هو السعي بالوسائل الدينية أولاً نحو السيادة على كل خليقة الله:

ينبر بولس على العلاقة بين القوات وبين رغبتها في السيادة على خليقة الله "انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم ... إذ محا (الله) الصك الذي علينا ... لا يُخسّركم أحد الجعالة" (كو ٢ : ٨، ١٤، ١٨). وليست الفلسفة والتقاليد الدينية والأنظمة المذكورة هنا هي القوات، لكنها الطريقة التي تحكم القوات بها البشر ... وفي فقرة مشابهة يقول بولس أنه بينما كان تحت الناموس كان مستعبداً للأرواح البدائية في الكون – أركان العالم (غل ٤ : ١–٣)، مؤكداً تعليمه إن القوات تستخدم الوسائل الدينية للتسلط على الناس.

٥ - لو لم تقدر القوات والسلاطين الشريرة أن تسيطر على الناس بالوسائل الدينية فإنها تستغل العواطف الإنسانية والرغبات لديهم:

يقول بولس لتيطس إننا إلى حين ظهور لطف مخلصنا الله وإحسانه، "كنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء غير طائعين ضالين، مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة" (تي ٣: ٣). كذلك يذكر أن الشيطان هو الذي يعمل على قيادتنا لنحيا في شهوات جسدنا (أف ٢: ٢،٣).

٦ - القوات والسلاطين شريرة:

ما هي النتيجة التي يمكن أن نصل إليها عن القوات (السلاطين) حيث صلبوا المسيح ويخدعون البشر ويستغلون العواطف الإنسانية ويستخدمون الدين للسيطرة على ملايين الناس؟ وبرغم أن القوات (السلاطين) ليست من ابتداع إبليس (فهو كائن مخلوق ولا يمكنه أن يخلق شيئاً) إلا أنها بالتأكيد تخضع لأغراضه.

٧ – سيطرة القوات والسلاطين على خليقة الله انكشفت على الصليب وانهزمت:

يعلن بولس بانتصارٍ إن المسيح جرد الرياسات والسلاطين، "أشهرهم جهاراً ظافراً بهم" (كو ٢: ١٥). فلماذا – إذاً – تواصل القوات (السلاطين) مضايقتها للمؤمنين؟ الإجابة هي أن السلاطين والقوات قد انهزمت لكنها لم تنهدم ولم تبيد، تماماً كما حدث مع النازيين حين انهزموا في شهر يونيه سنة ١٩٤٤ في الحرب العالمية الثانية لكنهم ظلوا يحاربون لأشهر عديدة تالية حتى انهزموا تماماً في ١٩٤٥.

إن كشف السلاطين والقوات على الصليب أساسي في هزيمتهم لأن سيطرتهم على الناس مبنية على الكذب. ويتأصل جزء من سيطرتهم على كذبة تقول إنهم أقوياء ومستحقون للعبادة. ومن خلال موت المسيح وقيامته أعلنت هذه الكذبة ليراها الجميع.

٨ – عزل السلاطين (القوات) الشريرة:

لقد انهزمت السلاطين، ولكن عند استعلان ملكوت الله ستعمل، فتهاجم بالشر المنادين بالأخبار السارة. وفي الحقيقة إن

إعلان موت المسيح وقيامته كان بمثابة إعلان للحرب.

إن وجود المسيحيين يذكر السلاطين بهزيمتهم، كما أن وجود الكنيسة يهز مملكة الشيطان. فالقديسون والقديسات شهادة علنية على كذبه. فبإيمان الكنيسة وحياتها تكشف عن عجز الشيطان وهلاكه النهائي التام.

وبسبب هذا ينتقم الشيطان، مستخدماً أسلحته من غش وكبرياء وخوف، مستعملاً كل وسيلة ممكنة لوقف المؤمنين عن إعاقة عمله.

وفي الوقت نفسه فإنه بالتبشير بالمسيح يوضع حد لقدرة السلاطين على الخداع والسيطرة، وإذ لا نجهل إمكانياته نتكل على يسوع وعلى انتصاره. فنحن نرفض الانجذاب لطرق الشيطان، مدركين أنه عندما يشتد خوفه فإنه يبذل أقصى جهده لمنعنا من التبشير. إلا أننا نسعى لتمييز وإدراك السلاطين حتى نحتملها ونراها مهزومة عندما نرفع المسيح المنتصر.

وفي المدن تبدأ حربنا.

الفصل الثاني

تمييز الأرواح في المدينة

من خلال خبرتي في العمل في المدينة أيقنت أن أنواعاً معينة من القوات الشيطانية تسود في أماكن محددة، اعتماداً على الخطايا هناك، والتي تعطي الشيطان نقطة هجوم روحية. فيذكر يوحنا الرسول أن كرسي الشيطان في برغامس (رؤ ٢ : ١٢، ١٣). ولسنا نعلم أن كان يوحنا يشير إلى انتشار الممارسات الدينية المحلية هناك، أم يقصد أن الشيطان قد أرسى سلطانه وحكمه في ذلك المكان. وما يهمنا معرفته من هذه الحضارة هو طبيعة وجود الشيطان المحدودة. ومن الضروري أن نعرف ونحارب الأرواح الشريرة المميزة للمدينة التي نحيا فيها.

عادة ما ترتبط العبودية لإبليس بالأفراد، إلا أن الانحلال الأخلاقي للمجتمع ييّسر إمكانية الحرب الروحية واسعة النطاق ضد مدن كاملة أو دول بأكملها ..

والكلمة اليونانية "أركا archa" بمعنى "رئاسات" تُرجمت

أيضاً بأشكال متنوعة: بدايات، أصول، حكام، سلطات وحكم. ويظن Baner, Arndt Gingrich أن هذه الكلمة استخدمت لتشير إلى "قوات ملائكية شريرة حيث يظن أن لها تنظيماً خاصاً بها (A Greek - English Lexicon of the New Testament P.112). أما لفظة "ولاة العالم" التي يستخدمها بولس (أف ٦: ١٢) فيشير بها إلى كيانات روحية من المعتقد أنها كانت تحكم قسماً من الكون.

إن استخدام بولس للعبارة: "الرؤساء والسلاطين وولاة العالم" مرتبطة بعبارة "على ظلمة هذا الدهر" (أف ٦: ١٢) يبدو أنه يشير إلى فهمه للزعامة في مملكة الشر المرتبطة بأماكن محددة ومهام معينة. ويستخدم بولس الكلمة اليونانية exousias ومن المثير أن نلاحظ أن هذه الكلمة مستخدمة في موضع آخر للإشارة إلى الولاة ومن يفوضون لهم سلطانهم.

وهذا يتفق مع إشارة دانيال إلى "رئيس مملكة فارس" (دان ١٠: ١٠-١٤) ككيان روحي مقابل ملاك الرب. وقال ملاك الرب إن رئيس مملكة فارس وقف مقابله لعدة أيام محاولاً أن يذهب إلى دانيال. ومن الواضح أن قوة أو رئاسة شريرة قد خولها الشيطان للحاكم في فارس ليرعى أموره. وقد حارب هذا

الكائن الشرير ضد ملاك الرب لأنه عرف في دانيال عدواً هاماً. فلو استُجيبت صلوات دانيال لواجه الشيطان هزيمة كبرى، ومن هنا بدأ القتال والمعركة.

لا تذكر الأسفار المقدسة سوى القليل عن طبيعة وأسماء القوات الشريرة، ولذلك يجب أن نكون حذرين في تحديد أسماء الأرواح الشريرة على الأماكن. ويمكننا – على أية حال – أن ندرك الشر في الأنظمة والمؤسسات وفي حياة الناس في المدينة وكيف يُظهر روح الشر ذاته. ولارتباط الشر في الأسفار المقدسة بالأرواح النجسة فيمكن أن نشير إلى "روح الطمع" و"روح العنف" أو أي شر يمكن للقوات الروحية الشريرة أن تؤديه بمقاييس غير عادية في المدينة أو الدولة.

لو رأينا أن الخطية محدودة باختيارات الأفراد الشخصية لفاتتنا حقيقة هامة؛ وهي أن المدن والدول تتخذ لنفسها سمات روحية وحياة خاصة بها. وهذه الهوية الروحية الجماعية، خيرة أو شريرة، حسب تجاوب السكان نحو الله أو الشيطان.

بالإضافة إلى ذلك فمن الضروري معرفة أن الرياسات (الرؤساء) والقوات الشريرة تسعى لاستخدام الشر في أي مدينة كقاعدة انطلاق لمهاجمة المسيحيين. ومن الضروري ألا ندخل

"ميدان المعركة" بدون أن نتسلح بسلاح الله الكامل. فمن الغباء أن نحاول أن نعمل عمل الله بدون قاعدة كافية من الصلاة وفهم للأسلحة الروحية المتاحة أمامنا.

وأيضاً أقام الله أنبياء في الكنيسة بعضهم في شكل علماء اجتماع أو علماء لاهوت، "لتمييز الأرواح"، وتنبيه الكنيسة إلى وجود الشر في المؤسسات السياسية والاقتصادية وفي المجتمع عامة.

إنني لفي اضطراب عميق بسبب ضيق نظرة بعض المسيحيين عن الحرب الروحية. لقد أتاح الله الأنبياء لتحذير الكنيسة، لكن أقوالهم غالباً لا تؤخذ بجدية. ولو كان للكنيسة احتياج لسماع أنبيائها، فهو الآن.

إن إدراك وتمييز الهجمات الروحية وتوجيه التحذيرات منها، يعطى الإنسان بصيرة في كيفية التعامل مع مختلف المواقف. وقد قمت أنا وسالي زوجتي بقيادة فريق عمل في منطقة الخط الأحمر (منطقة الحانات) في أمستردام لعدة سنوات. وفي السنوات القليلة الأولى لعملنا هناك أحست كل سيدة من الفريق ممن يعشن بالقرب من المنطقة بنوع من الإحباط. لكن بعد الصلاة والصوم صرنا مقتنعين بأن هذا الإحباط هو هجوم روحي لتثبيط عزيمة العاملين

وإنهاء خدمة التبشير بين الساقطات ورواد الحانات. فتيقنا من تمييزنا لهجوم معين من العدو على فريق العمل وصلينا من أجل روح الإحباط.

وبعد أيام كثيرة من الصلاة انكسر الهجوم. وأعطانا الله مستوى جديداً من السلطان الروحي لتحمل الهجمات. وبرغم أن الانتصار هو للرب، تعلمنا أن الرب استخدم الموقف ليعلمنا مبادئ الحرب الروحية.

لقد أراد الله لنا – أولاً – أن ندرك أن هنالك حرباً روحية وراء التفسيرات الطبيعية لأسباب معاناة الناس ثم أظهر لنا كيف نتجاوب معه – كجماعة وكأفراد. كما أراد الله لنا – ثانياً – أن نعلِّم زملاءنا وشركاءنا، من خلال كلمة الله، كيفية تمييز ومجاوبة أكاذيب العدو، وهجماته على الأذهان والعواطف. وتدعو "سالي" هذا الأمر "تطوير أسلحة عملية للحرب الروحية". فلابد أن نسلك في طاعة عملية لكلمة الله واضعين موضع الممارسة كل المبادئ الكتابية التي تسلّحنا بالبر والحماية في كل موقف نواجهه. وسنتعرض لهذه المبادئ في الفصل التالي..

تمييز الرؤساء (الرياسات) والسلاطين (القوات) الشريرة

تقدم الخطية للشيطان منصة لمهاجمة الناس. كما تقدم الخطية الجماعية في المدينة للشيطان مقراً في تلك المدينة أو في المؤسسات بها. فبعد زيارة عشرات المدن في كل قارة صرت مقتنعاً بأن هناك بعض الرياسات عامة مشتركة لكل المدن، وأن هناك بعضاً آخر يميز مدناً معينة. فإن روح الجشع العامل في مدينة مونت كارلو ومدينة لاس فيجاس غير عادي في معدلاته، تماماً مثل روح الانحراف الجنسي في مدينة سان فرانسيسكو وأمستردام. ويتحدث الكثيرون عن روح السلطة العاملة في واشنطن وكيف أعمى كثيرين من الرجال والنساء عن عملها فسقطوا فرائس لقبضتها الخادعة.

وتبدو أمور، مثل العنف والغضب والانطواء والحسية، أكثر من مجرد مشاكل إنسانية في العديد من المدن. يستخدم الشيطان الخطية ليكتسب موقفاً، ثم بعد ذلك يطرد الناس إلى الأطراف أبعد مما يريدون لأنفسهم غالباً.

كيف نفكّر حينما تعمل القوات الروحية الشريرة؟ إننا نبحث في الناس كلهم عن الوسوسة لخطايا معينة، وعن التوجيه غير

العادي نحو الشر. ومن المهم أن نلاحظ الخداع الكثير في المدينة، خاصة في الأماكن الأساسية للأخلاق. ولابد أن يضعنا هلاك جميع السكان في موضع الحرص مهما كانت الأسباب الطبيعية. ولابد أن نبحث عن روح "ضد المسيح" عند الازدراء بالمسيحيين بصورة غير معقولة.

هناك أربع سمات هامة تعيننا في استيعاب عمل الرياسات والسلاطين على مجال واسع في المدن والدول: العمى الروحي والجمود الروحي نحو الإنجيل، تشوش أفكار قسم كبير من السكان بصور معينة من الشر، العبودية لخطايا معينة مثل السلوك الذي لا تقدر أن تتحكم فيه الوسائل العادية لضبط النفس والتي تفرضها المجتمعات، التسيب والانهزام داخل الكنيسة. (رو ١: ١٨-٣٢).

وغالباً ما يستخدم الشيطان مشاكل المدينة ليقدم حلولاً زائفة. فشهوة الإنجاز قد أدت - حتى في مجال الترفيه والتسلية - إلى قدر فائق من فقدان الهوية. فالناس منشغلون بالمتعة لدرجة تدفعهم لمزيد من العمل الشاق حتى يمكنهم سداد كل ما يريدون، ولمزيد من سرعة الحركة لإنجاز كل شيء.

هل حوّلت التكنولوجيا "التقنية" الدول الغربية الأكثر

تقدماً – أكثر إنسانية وأفضل أخلاقاً؟ على العكس، فمستهلك الآلة نفسه مريضة. فنحن نعيش حياة متزايدة الوحدة والعزلة. فنحن نسعى إلى الراحة باستخدام الآلات والأجهزة المنزلية المختلفة، فنستمع لأفضل أجهزة الصوت الاستريو، ونأكل الطعام مطهواً في أفران الميكروويف، ونغرق في مشاهدة قنوات التلفزيون التي تبثها الأقمار الصناعية الدائرة فوقنا. وعندئذ يظهر عدو نفوسنا ويقول لنا: "يمكن للحياة أن تكون أفضل. فلديَّ مطلبكم. إنكم تحيون حياة سريعة الإيقاع، ابطئوا قليلاً واكتشفوا ذواتكم. انظروا إلى البلورة السحرية وتأملوا ورددوا ورائي ..."

. إن موهبة تمييز الأرواح ضرورية فلابد أن نعرف إن كنا نقاتل القوات الشريرة أو نتعامل فقط مع الخطية وتبعاتها في الحضارة. وليس هذان الأمران واحداً دائماً. وأيضاً لو أن المعركة ضد القوات الشريرة فأي نوع من القوات نحارب؟ فمن المهم أن نعرف بالتحديد أنماط الاستراتيجيات والخطط التي يستخدمها الشيطان ومدى تأصلها في ثقافة المجتمع. لقد وجدت أنه عادة ما توجد علاقة بين العبودية للشيطان في مدينة أو بلد معين وبين الخطايا المرتكبة هناك على مدى واسع من الزمان في

القديم. وقد نضطر أحياناً إلى التوغل في الماضي قروناً عديدة لنجد جذور بعض الاستعبادات الروحية في تلك المدينة.

منذ سنوات مضت كنت في النرويج لفترة خدمة ممتدة وكرزت في مدن عديدة. وكنت عادة ما أتحدث مع الناس - بعد الاجتماعات - للرد على استفساراتهم. وقد اندهشت كثيراً من عدد الناس الذين يجاهدون ضد مخاوف عميقة تحكم حياتهم. وهو نمط كان منتشراً دفعني للاستفسار من الأصدقاء والخدام عما إذا كانت هذه مشكلة عامة، فاتفقوا جميعاً على ذلك.

وتحيرت من هذا، حتى عرض أن صديقاً أخبرني أن المسيحية قد دخلت النرويج على يد ملك في القرن الحادي عشر. وقد سعى هذا الملك بجيشه في كل أرجاء البلاد يقتل كل من يرفض المسيحية إيماناً. وهكذا ولدت المسيحية هناك في حمامات قومية من الدم.

إنني مقتنع أن مثل تلك الأحداث لها تأثير روحي عميق على كل البلاد. وتبدأ الرياسات في العمل ولا تخرج إلا حينما تُعرف وتُتخذ ضدها الخطوات المناسبة لإنقاذ البلد من هجوم هذه السلاطين الشريرة على الناس.

الفصل الثالث

المصادمات مع القوات الشريرة

يثير وجود السلاطين الروحية الشريرة مواضيع صعبة أمامنا لابد من معالجتها. فما هو جوابنا نحو وجود السلاطين والقوات الشريرة؟.

إننا نعرف أن لنا سلطاناً كمؤمنين للوقوف ضد قوات الظلمة الروحية، بسبب النصر الذي حققه لنا الرب يسوع على الصليب. ولكن هل معنى هذا أنه لابد للمسيحيين من التحدي العدواني لحصون الشيطان الموجودة في مدننا في داخل الأنظمة السياسية والمؤسسات؟.

يتضمن هذا السؤال استفهاماً آخر: من هو سيد هذا المجتمع؟. إننا ندرك، من جهة، أن المجتمع والثقافة هما عطية من الله لنا. فقد خلقنا ككائنات اجتماعية، ووضعنا على الأرض، متسلطين على كل مصادرها، نتفاعل مع الآخرين ونحيا في مجتمع إنساني، تتأسس فيه الحكومة لحفظ النظام

والسلام بين الناس. ولأن الله هو خالق كل الأشياء وحاكم هذا الكون فمقصده هو أن يسود البر على الأرض. فللرب الأرض وملؤها.

ومع أن المجتمع ملك للرب إلا أنه الآن ملك للشيطان. ففي البرية عرض الشيطان على يسوع جميع ممالك العالم (مت ٤ : ٨-١٠). ونحن نعرف حقيقة مملكة الظلمة وأن الإنسان سقط فريسة لآلات الشيطان الشريرة. والثقافة غالباً لا تعكس مجد الله، فهي ساقطة كما أن الإنسان ساقط.

إن تجربة يسوع في البرية تشجيع لنا. فبرغم أن الشيطان وعد الرب يسوع بكل شيء، إلا أن الرب رفض عرضه وانتصر عليه. وأكمل انتصاره عليه على الصليب حيث ظهر عار الشيطان علناً أمام الجميع. وتتكرر الآن تجربة البرية، فما قد فشل الشيطان في تحقيقه في قلب الرب يسوع يسعى الآن لتحقيقه في قلوب المؤمنين أتباع يسوع. فنحن الآن منخرطون في صراع روحي تحدد نتيجته من له القيادة الروحية في هذا العالم. ونتيجة التجربة الأولى في البرية - بمراحلها الثلاث - تضمن لنا نتيجة التجربة الثانية - في حياتنا، لو أقمنا شروط النصر على العدو الموضوعة أمامنا.

وكما حقق الرب يسوع النصر في البرية بممارسته لسلطانه الروحي، لابد لنا أن نقهر أكاذيب الشيطان التي يطلقها في عالمنا اليوم. إن للشيطان حصوناً، لكنها سهلة الاختراق لمن يقاومه متسلحاً بأسلحة الرب.

أسلحة حروبنا

تبدأ أسلحتنا الأولية ضد الشيطان على مستوى شخصي وتمتد إلى الحرب الجماعية للكنيسة ودورها في المجتمع. وسنناقش معاً – على الصفحات التالية – سبعة أقسام من الأسلحة الروحية. ويرتبط كل قسم بالأقسام الأخرى لتكوّن معاً تسليحاً روحياً يسمح للكنيسة، ليس فقط بالوجود، بل أيضاً بالانتصار على الشر في المجتمع.

الواقع الداخلي مع الله:

لا يمكن للحرب الروحية أن تنفصل عن أساسيات الثقة في الرب يسوع المسيح للخلاص، والمعيشة في حياة مقدسة، وتطبيق كلمة الله وإظهار سمة الله في أعمالنا ومعاملاتنا وعلاقاتنا وشركتنا مع المؤمنين الآخرين، وقراءة الأسفار المقدسة يومياً، والامتلاء من

الـروح القـدس. إن أسـلحة المؤمـن الروحيـة (أف ٦: ١٣-١٨) تشـير إلى أهميـة العلاقـة الطيبـة للمؤمـن مـع الـرب ومـع الآخريـن. فـالمؤمن معـرَّض للهزيمـة مـا لم يحمـل سـلاح الله الكـامل ممنطقـاً حقويـه بـالحق، ولابسـاً درع الـبر، واضعـاً في رجليـه اسـتعداداً حمـل إنجيـل السـلام للآخريـن، حـاملاً فـوق الكـل تـرس الإيمـان ليطفـئ جميـع سـهام الشرير واتهاماتـه وهجماتـه، ولابسـاً خـوذة الخـلاص وسـيف الـروح (أف ٦: ١٣-١٨).

وليـس هنـاك بديـل للأساسـات الشـخصية للـبر وخدمـة الله، والتعلـم منـه والجـوع إليـه. فـإن لم نضـاعف هـذه المشـاعر الروحيـة لسـادت علينـا المشـاعر الشريرة. وإن لم يكـن بداخلنـا واقـع داخلـي مـع الله لهزمتنـا الكيانـات الأخـرى. ولـو كـان الأفـراد ضعفـاء فـإن كـل الكنيسـة تصبـح ضعيفـة. والكنيسـة الواهنـة لا تقـدر أن تـؤدي الدور الـذي رسمـه لهـا الله في داخـل المجتمـع.

مـع إن الصلـة الحميمـة مـع الله هـي أسـاس النمـو الروحـي إلا أننـا أحيانـاً مـا نسـعى خطـأ إلى كيـان داخلـي لأنفسـنا. فالخطيـة مبنيـة دائمـاً علـى الزعـم بـأن لحياتنـا الخاصـة حقـاً، هـذا إلى جـانب الفكـر القـائل أن علينـا أن نـرى الأمـور مـن وجهـة نظرنـا الخاصـة. وبرغـم أن القـول بـأن الديـن "أمـر شـخصي" يبـدو كقـول

مقبول وصحيح إلا أن الأمر ليس كذلك.

لقد غزت الذاتية الحديثة فكر المؤمنين الغربيين حتى حدث خلط بين كهنوت المؤمن وصورة أنانية من المسيحية، وهكذا انعزل المسيحيون في شكل من المسيحية الفقيرة. والنتائج هي أنانية نمط الحياة والتهاون مع السلامة العقلية الفكرية.

تتعارض مصداقيتنا وسلطاننا الروحي لدى الناس في مجال الحياة العامة. فلابد لنا - كأبناء الله - أن نعرف أن الذاتية أو الفردية وهم خطير. إن على المسيحيين أن يقفوا ضد العالم، لكنهم ليسوا وحدهم فعلينا معاً أن نميز الشر في الثقافة من حولنا، ثم نشرع في العمل من خلال الدراسة الجماعية للكتاب المقدس، مع الصلاة والمناقشة. وبنفس القدر من الأهمية لابد أن نمارس تعاليم الكتاب المقدس عن مسئوليتنا نحو الآخرين، بشكل يجعل الممارسة الخاصة للإيمان تنشئ شهادة عامة قوية.

إن الإنسان المسيحي الممسوك في روح المسيحية الخاصة سيواجه تجارب مهولة لفصل الإيمان عن الطاعة واضعاً بذلك الفأس على جذور الفعالية المسيحية في المجتمع. وهناك أمثلة شهيرة عن هذا المدخل إلى الروحانية. فقد ظهر مبشر شهير في التلفزيون يقول: "لو صرّحت بأمرٍ ما على الهواء، فأنا أؤمن به

" كما لو كان يقول إن ذلك حقيقة. وهذا يبين الانفصال بين الإيمان والسلوك، بين الإيمان والحقيقة. فمجرد قول الإنسان لشيء وإيمانه به لا يجعل هذا الشيء حقيقياً، حسب المعنى الكتابي لهذه الكلمة.

وأخشى أن بعض المسيحيين لا يميزون طبيعة وجود العالم من حولهم. كما يدركون السمة العلاجية الناشئة في المجتمع. وينبغي ألا تخلط بين الواقع الروحي الداخلي وصورة المسيحية الإختبارية. فيجب ألا تكون الخبرات الموضوعية الذاتية أكثر واقعية من الحقائق المعلنة في الكتاب المقدس.

كلمة الله والشخصية:

لابد للمؤمنين – كأفراد، وكجماعات محلية – أن يتأصلوا بثبات في الحقائق المتيقنة لكلمة الله وشخص الله.

في كتاب The Devil's Gauntlet يشير Os Guinness إلى خبرة اكتسبها عن مواظبته في إحدى الكنائس القيادية الإنجيلية في واشنطن . ففي صباح ذلك الأحد المعين كانت دعوة العبادة التي بمثابة الاعتراف تقول: "أيها الآب اغفر لنا لأننا لم نحيا حسب أحلامنا". ودعا المبشر أوس O s هذا

"فكراً لاهوتياً أصيلاً" ومضى يقول: "إن التعليم الإنجيلي الأمريكي كالزبد في مياه الفكر اللاهوتي السطحية الضحلة العاطفية، والتي لا تمنح القوة لفأر، فما بالك بتلميذ للمسيح في العالم الحديث الصعب".

وبينما ليس هناك جدال مع من يقدمون محبة الله لعالم جريح متألم، فإن خطورة الاستجابة لاحتياج الإنسان - بدون مناداة نظامية صحيحة قوية بالحق الكتابي - تبدو واقعية للغاية. وهذا الأداء يقود إلى نوع من المسيحية المتعاطفة، والتي تهتم بشفاء جراح الناس العاطفية أكثر من اهتمامها بجذبهم للعلاقة السليمة مع الله. ومن حسن الحظ أننا غير مجبرين على الاختيار بين هذين الأمرين.

لقد حدث في العالم الغربي، تغير أخلاقي صارخ. فبدأ بالتحول من الالتزام التطهيري البيوريتاتي Puritan Commitment بالخلاص من خلال إنكار الذات، والصليب، متجهاً نحو نظام القيمة العلاجية الذي ينبِّر على تحقيق الذات من خلال مزيج من المعونة الذاتية وأنظمة العصر الحديث. وغالباً ما يهتم الإنسان بالصحة النفسية والجسدية أكثر من اهتمامه بالحالة الروحية الحقيقية.

إننا نعترف أن الناس دائماً ما ينشغلون بالصحة النفسية العاطفية والجسدية. لكن خلال الخمسة والسبعين عاماً الماضية حدث شيء مختلف. ففي القرن الماضي كان السعي للصحة يتم في داخل إطار ديني وأخلاقي أكبر. أما الآن فالسعي للصحة يتم في عالم سريع نحو احتضان خبرات دينية منتقاة، لكن يشمئز من احتضان موت المسيح باعتباره المصدر الوحيد للخلاص.

ليس من الخطأ أن نطلب من الله سداد الاحتياج العاطفي أو نعترف بذلك، لكن عندما يصبح الإطار الأكبر للمجتمع هو تحقيق الذات، والمشكلة الجذرية لا تكمن في الكرازة بالصليب، ولا في الحاجة إلى التوبة، فعندئذ يصبح المؤمنون في خطر عظيم من الانحدار إلى شكل ذاتي للمسيحية ليس له علاقة بالعقيدة القويمة.

لا يختلف احتياج الإنسان المسيحي إلى الإشباع العاطفي عن الإنسان غير المسيحي. لكن لو كان المسيحي لا يعبر عن هذا الاحتياج خلال مضمون اهتمام الله بالبر في حياتنا لما صار مسيحياً حسب الكتاب المقدس، بل أنانياً متمركزاً حول ذاته، يستخدم الله في إشباع حاجاته الخاصة والشخصية.

وقد نشأت ثقافة (حضارة) في الغرب تسعى لإقناع الناس

أنهم لكي يختبروا الواقع والسعادة الجنسية والسلامة الداخلية للإنسان لابد أن تزيد مشترواتهم. وهناك علاقة حميمة تنشأ بين ثقافة الاستهلاك وسمة علاج السلامة العاطفية. وتسعى سياسات التسويق – بانتظام – إلى التهوين من القيم التقليدية للعمل والادخار والأسرة. ويدعم المعلنون والمعالجون – قصداً أو سهواً – الثقافة المنتشرة الشائعة للاستهلاك وتحقيق الذات.

إلى أين يقود هذا الأمر الكنيسة؟ لو كان الإنجيل وسيلة أخرى للسعادة والغنى لكنا نحن نتاجاً للحضارة وليس حراساً محذرين لها. وعندما لا يقدر العالم أن يميز الفرق بين نمط حياة المسيحي وغير المسيحي تصبح الكنيسة في مشكلة جسيمة خطيرة. وعندما تعكس مفاهيم الرفاهية السمات الثقافية للعالم أكثر من إيمان أجدادنا الكتابي فلابد للكنيسة أن تواجه حقيقة أنها تشكلت بالثقافة العالمية.

فما هو حل هذه المشكلة؟، إنني أقترح مطلبين بسيطين هما: استعلان حازم عاقل لكلمة الله، وتطبيق نظامي لشخص الله في كيف نعيش كمسيحيين. وإتمام هذا في الوسط الثقافي الحالي للمدن لا يعني إلا مواجهة قوية مع القوات الشريرة.

إن القصد من المناداة بكلمة الله هو أكثر من مجرد الاستماع

إلى تعليم ديني مفضل لدينا، أو الفكر اللاهوتي المفضل لدى الراعي. إنه التعريف بالله من خلال كلمته. وفي هذه العملية لابد أن نتعلم عن شخصه: فنعرف عدالته، وندرك رحمته، ونسير في حكمته، ونسلك حسب قداسته، ونقف في خشية نعمته.

وقد تكلم الرب على لسان إرميا النبي قائلاً: "هكذا قال الرب: لا يفتخرن الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته، ولا يفتخر الغني بغناه، بل بهذا ليفتخرن المفتخر، بأنه يفهم ويعرفني إني أنا الرب الصانع رحمة وقضاءً وعدلاً في الأرض لأني بهذه أسرّ يقول الرب" (إر ٩: ٢٣، ٢٤).

. وهذا التبشير معناه العمل خاصة بالنسبة للمدعوين خداماً. وهناك قصة عن شاب ذهب إلى راعٍ مختبرٍ يطلب نصيحته في تحضير عظته الأولى. فقال له الراعي: "لا تحاول يا بني أن تملأ عقلك بتعليم الناس أو بأفكار رائعة، بل ببساطة صلِّ واطلب من الرب أن يتكلم بك وإليك وأنت واقف على المنبر. فعندما تفعل هذا أؤكد لك أن الله سيتكلم إليك". وهكذا استمع الشاب إلى نصيحة الراعي ولم يقرأ أو يستعد للعظة مسبقاً. ففي إيمان وثق أنه عندما يقف على المنبر سيتكلم الله إليه.

وعندما جاء يوم الأحد الحاسم وقف الشاب فخوراً بنفسه لأنه لم يترك عقله يمتلئ "بأفكار الناس". فوقف صامتاً مصلياً صلاة بسيطة: "أيها الرب، إنني خادمك البسيط. وقد أتيت الآن للتبشير بكلمتك، فتفضل وتكلم إليّ". وتكلم إليه الرب قائلاً: "يا بني إنك غير مستعد".

إن هذه القصة حقيقية أكثر مما نعرف. فكم راعياً اعدّ عظته قبل اندفاعه إلى المنبر بساعات قليلة؟ وكم راعياً لم ينفق وقتاً في السعي نحو الله ودراسة كلمته، ذاهباً للمنبر بثقة فيما يريد الله قوله للشعب؟

ليست المشكلة في الهرطقة، رغم أن هنالك - بلا شك - بعضاً منها. وكذلك ليست مجرد درجة الاستمتاع فهناك الكثير منه. وليست هي الفراغات المذهلة في الفكر اللاهوتي، فهناك وفرة منها. إن المشكلة الحقيقية هي إنه في كل ما يقال ليس هناك ثمة إعلان من الله، وفي كل ما يُرى ليس هناك مسحة من الله.

ليس منبر صباح الأحد وقتاً يستعرض فيه الواعظ أفكاره الخاصة الجيدة. بل هو وقت ينادي فيه الواعظ بكلمة الله الأبدية. بحكمة وفهم وسلطان ومسحة منه. مع العناية بصفة

خاصة في تمييز القوات الشريرة وكيف تهاجم أبناء الله. وعليه أن يقف كخادم يعرف الله، ويعلّم الشعب عن شخص الله. وتحيا فيه كلمة الله المكتوبة وتلتهب بالروح المشتعل في قلبه وهو يقضي الساعات الطويلة وحده مع الله، ليسمع ما يقوله الله للشعب ويعلنه هو لهم باقتناع.

العبادة:

إن عبادة الله الحي لهي مواجهة قوة على أعلى مستوى. وحين ننسب لأي شيء كائن ما نقدمه من عبادة لله فهذا خطية، وهو خضوع للتجربة التي قدمها إبليس للرب يسوع في البرية. فالشيطان يسعى لخداعنا إن أمكن، وإن لم يمكنه ذلك فإنه يستخدمنا في توجيه العبادة والثقة بعيداً عن الله الحي.

فالشيطان لا يغوينا فقط لعبادة آلهة زائفة، بل أيضاً يسعى لإعاقتنا عن العبادة السليمة بالتهوين من إيماننا بالله. فلو سادت مشاكل المدينة على بؤرة خدمتنا وتكونت لدينا نظرة سلبية فإن هذا يؤثر على عبادتنا لله. فبينما لابد ألا نهمل المشاكل أو ننكرها يجب أن يكون الله وصلاحه هو مركز عبادتنا.

وقد أظهر الله لشعب بني إسرائيل أهمية العبادة في الحرب الروحية حينما هزم أعداء يهوذا بواسطة إنشاد ترانيم التسبيح بدلاً من القوة العسكرية الحربية (٢أي ٢٠ : ٢١،٢٢)، ويذكرنا جون دوسون John Dosson بهذه الحقيقة القوية في كتابه: "تقديم مدننا لله" "Taking our cities for God" فيقول: "إن اللفظ اليوناني لكلمة العبادة في العهد الجديد وهي Proskuneo تعني "التقبيل" متضمنة تجاوباً عاطفياً نحو الله. وتتأصل تعبيرات المديح القلبية في تقديم الشكر. فالامتنان هو الاعتراف الواعي بالمديونية تجاه الآخر، وهو ما نختار أن نفعله "شاكرين كل حين على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب" (أف ٥ : ٢٠). أما السلوك المضاد وهو التذمر والشكوى فهو خطية لا يغفرها الله. فهذا السلوك يسمم الجو، ويسلب من الآخرين إيمانهم وينشأ عنه الهزيمة والموت. فعندما تذمر بنو إسرائيل على موسى وهارون ضرب منهم الوبأ أربعة عشر ألفاً وسبعمائة وماتوا" (عدد ١٦ : ٤٠-٥٠).

ويواصل دوسون Dosson الإشارة إلى أننا بينما نتردد في سب الناس صراحة وعلانية فإننا نظن أنه من المقبول أن نتذمر على مدننا لأنها – من المفترض – ذات طبيعة غير ذاتية. وما

حرَّك شكوى بني إسرائيل ضد موسى هو أيضاً البيئة المحيطة بهم: "كذلك لم تأت بنا إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً ولا أعطيتنا نصيب حقول وكروم " (عدد ١٦: ١٤).

لقد سمعت مسيحيين بلا عدد يسبّون المدينة كما لو أن حقيقة المشاكل تعطيهم العذر في سلوكهم السلبي. فهذا الانتقاد أرضية خصبة لعدم الإيمان. فالناس يركزون على المشاكل ويصبحون أكثر انبهاراً بقوة الشيطان منهم بقوة الله. إن الخطية في المدينة عداء للإنسان الحساس روحياً. ومن المحزن أن نرى التلوث يخيِّم في السحب الرمادية فوق المدن الكبرى. ومن المؤلم لروح الإنسان أن يرى أعداداً ضخمة من الشباب من الجنسين يستهلكهم جنون الجنس ويستغلهم صانعو الصور الخليعة. ويبدو أن الغضب هو الاستجابة المناسبة الوحيدة نحو الظلم والجور الواقع على مناطق العالم الثالث والمدن الداخلية للعالم الأول. والقذارة والخراب في المدن مكروه. إلا أن الموضوع الرئيسي هو كيفية التجاوب نحو كل هذا. إنها أمور قاتمة وشريرة وكريهة المنظر. ولكن هل ينبغي أن نتجاوب بصلابة قلب وانتقاد؟

ما علاقة هذا بالصلاة في المدينة؟ إن العبادة هي أكثر مما

نؤديه لمدة ساعة أو ساعتين يوم الأحد. فهي سلوك حياة، ونمط حياة. وتتركز حول صلاح الله وتأكيد رغبته في مباركة كل الناس برغم فساد البشرية الخاطئة وطغيانها.

وبدون العبادة تتراكم علينا احتياجات المدينة، وتنشأ لدينا الريبة والشك وعدم الإيمان وتصطبغ خدمتنا لله بالمرارة. ويصبح الهروب هو المحرك لوجودنا فتتسلط المدينة علينا عوض الارتفاع والسمو فوق مشاكلها.

تخلق العبادة طريقاً سريعاً بيننا وبين قلب الله. فنرى المدينة - لا مشاكلها - في ضوء قدر الله لأبنائه في ذلك الموضوع. فنبدأ أن نرى - بعين الإيمان - ما يريد الله عمله فيها من خلال أبنائه.

والعبادة الجماعية المنتظمة تضخم ما في قلوب الأفراد. فإن أتينا للرب بقلب شاكر مشتعل بدراسة منتظمة لكلمة الله، مركزين على شخصه لوجدنا أن العبادة مع جماعة المؤمنين تغذي نفوسنا.

إن وجود المؤمنين المتعبدين المصلين - في مدينة محتاجة - لهو تحدٍ قوي لقوات الظلمة، مهددين بذلك قبضة الشيطان

على حياة الناس، وهي القبضة التي يقويها ويدعمها الوهم القائل بأنه كلي القوة.

بحث وتحليل:

السلاح الروحي الآخر لمقاومة جهود الشيطان في إهلاك المدينة هو بحث الموضوعات التي تضعف نفوذ الإنجيل في المدينة. وهناك في الكنيسة نزعة ضد العقلانية متعمقة الجذور في الكنيسة، وقد تسببت في أن تفشل ليس فقط في الوصول إلى غير المسيحيين المفكرين، لكن أيضاً في التأثير على اتجاه الثقافة. فعند تشجيع استخدام المواهب العقلية التي منحها الله للكنيسة، نصبح عصاة ومقاومين للروح وغير محبين، وهذا ما تقوله تلك النزعة. ولكن لا يمكننا أن نرجو ممارسة التأثير الذي قصده الله لنا في المدينة، إلا من خلال تحليل ما يواجهنا في المدينة – من مواضيع سياسية واقتصادية واجتماعية – بعقل راسخ. فهي مسألة أمانة مسيحية ووحدة مسيحية.

لابد للأذهان المقدسة من فحص تأثير الحضارة (الثقافة) – في عمومها – على الكنيسة فكل جوانب الحياة مزدانة بملامح عن الحضارة (الثقافة) المتعارضة تماماً مع القداسة والشهادة

المسيحية. فتهدم الحرب الروحية – في هذه النقطة – الحصون بالتفكير العميق. فيلزمنا أن نصلي، نعم .. لكن يلزمنا أيضاً علماء اجتماع للكشف عن خيانة هذه الحضارة للإنجيل.

تحارب المفاهيم الدنيوية الكنيسة بخداعنا نحو التهاون في قيم الإيمان المطلقة. وكذلك بإغوائنا للمشاركة في الاستثمارات اللاأخلاقية، والعلاقات السطحية، والاتكال المشين على وسائل التكنولوجيا، والخضوع لمناورات أنظمة المعلومات الخادعة، والتهاون مع فلسفات العالم التعليمية وأساليبه. وما لم نفكر جيداً بعناية في أنماط حياتنا وكيف تؤثر في تعاملاتنا المادية وعلاقتنا، وفي وقتنا وطموحاتنا وأحلامنا وفي عائلاتنا، فإننا سريعاً ما يبتلعنا المجتمع الذي يجذبنا بعيداً عن المسيحية – حسب الكتاب المقدس – في معظم أعمال الحياة الأساسية. ولو لم ينتبه المسيحيون كيف صاروا معتمدين تماماً على أنظمة العالم، لغرقوا في واحدة من أمكر الهجمات المدمرة على الكنيسة طوال ألفي عام. ويجب ألا نخدِّر ضمائرنا بتقدماتنا للفقراء ومشوراتنا للمجروحين، وألا نشعر بالرضى لكثرة الحاضرين في الكنائس. فإن سجلنا مذكرة بسيطة بالموضوعات الأخلاقية والاجتماعية وافتخرنا كأننا صنعنا ما يكفي، فإننا نضل أنفسنا بذلك.

يجب أن نتوب عن تحويلنا المثل العظيم للحرية والرفاهية إلى أصنام عصرية. فالناس يعبدون الحرية والرفاهية كأهداف للحياة وكان الأحرى أن يقدروهما كنتيجة للأمانة والعمل الشاق – لقد أعمتنا هذه الأصنام حتى لم نعد نرى آلاف الشرور الحادثة حولنا في الميدانين الاقتصادي والاجتماعي.

شفاعة متوهجة:

لو أردنا إدراك جبهات المعركة إدراكاً سليماً علينا أن نفكر برجاحة عقل، بل وعلينا أيضاً أن نتواصل مع الوسطاء الغيورين ممن يحسنون الإصغاء لما في قلب الله نحو المدن. كانت هناك مجموعة من السيدات المرتبطات بكنيسة "المسيح راعينا" في واشنطن، تصلي من أجل تلك المدينة سنة ١٩٨٤م. وفي خلال وقت الصلاة أحست سيدة منهن بأن الرب وضع في قلبها التدخل في موضوع تأثير المنجمين على نانسي ريجان. ولم يكن – في ذلك الوقت – قد أعلن أن السيدة نانسي ريجان تسعى لمشورة المنجمين. وعندما انتشرت الأخبار بعد ذلك بسنوات عديدة أحست جماعة الصلاة بأن الله استجاب لصلواتهم وكشف ما كان "مخفياً في الظلمة".

فالتدخل أو الشفاعة ليست عملاً لقلة من السيدات العجائز ممن لا يعرفن شغلاً لوقتهن أفضل من هذا. فهي أساسية في رسالة الكنيسة داخل المجتمع. وتنفتح لنا نوافذ البصيرة بالشفاعة التي لابد أن ترتبط بالمقاتلين على الجبهة العقلية. وقد انضم نحميا إلى العاملين في بناء أسوار أورشليم، مذكراً لهم بأنه لو هاجمهم العدو في أحد المواقع عليهم أن ينفخوا البوق استدعاءً لمعونة الآخرين. فهذا التكامل في العمل والأداء الفعلي أمر حيوي. فلو ظل البعض منفردين وحدهم لنشأ حماس حار فاسد أو عقلانية باردة متباعدة. فمن يتخذ دعوة الدفاع عن المدينة بجدية عليه أن يحترس من الانفصال عن الآخرين، الأمر الذين يمنعه عن التوحد مع من يصلّون لأجله. فالاتحاد بالناس يجعل الصلاة فعلية وفعالة.

لم يكن لي ميزة المعيشة في مدينة داخلية كبرى فقط، بل والترحال الدائم للحديث عن عملنا ونشره. وقد أحببت انتعاشة إعلان مقاصد الله للمدن إلى المستمعين، كثروا أم قلّوا. لكن الابتعاد عن الخدمة المباشرة في الشوارع بسبب جدول الأحاديث وبسبب الارتباط بمسئوليات إدارية حتمية أمر له ضريبته. فقد أجد نفسي أتحدث عن اختبارات كثيرة من الماضي بدون التلامس

اليومي المجدد مع الجيران. وقد اضطر – أحياناً – إلى قبول هذا كجزء من ثمن الدعوة الدولية لحث الآخرين على الانضمام.

لابد لي من اليقظة لألاحظ أية برودة بسبب نقص الاتحاد والاهتمام. فعندما تعاني حياة الصلاة لديَّ من نقص النظام والتأديب فكل شيء إذن يتأثر. وتصبح أمثلة العظة مجرد أمثلة بلا روح. لكن عندما أصلي بعاطفة وأتوحد مع خطايا الناس (نح ١)، تبدأ الأمور في التغير. فلا أتكلم بسلطان أعظم فقط، بل إن حياتي في أمستردام يلمسها الله بعمق أكبر. وبتلقائية أصير أكثر انخراطاً مع الناس، مشاركاً في افتتان المدينة روحياً. فالصلاة تحفظني من كوني مشاهداً، والاتحاد والتعرف على الناس يجعلني متناغماً على مستوى قلبي.

عندما نعد فريقاً من أمستردام للتبشير في مدينة أخرى فإننا نبحث أولاً خلفية المدينة روحياً وحضارياً وتاريخياً. وعندما يدخل فريق العمل إلى المدينة يسيرون مثنى مثنى (اثنين اثنين) في شوارعها متداخلين بين الناس إلى أن يشعروا أنهم قد أدركوا القوات الروحية الشريرة العاملة في تلك المدينة. ثم يصلّون بصفة خاصة لإيجاد الثغرات في تلك المناطق. وليس هذا النوع من التداخل بديلاً للمعايشة أو لتحليل الموضوعات، لكنه أساسي في

كل أنواع الحرب الروحية فهو يمدنا بالصلة بقلب الله ونقطة السلامة والتكامل لكل جهود البعثة التبشيرية. فهي "الجهاز العصبي" في رد فعل الكنيسة نحو قوى الشر، رابطاً كل جهودنا في تجاوب متناغم متناسق.

إن العاملين في مجال الخدمة العامة يحتاجون بشدة إلى جماعات الصلاة، والعكس صحيح، ويستخدم الشيطان الناس لإعاقة مقاصد الله، حتى بالنسبة للمؤمنين المتميزين. فكم لاقى خادم عام أكبر مقاومة من المسيحيين الآخرين. ولا نندهش من ذلك، فقد قال بطرس ليسوع ألا يذهب إلى أورشليم ليموت على الصليب، ولكن الرب يسوع – إذ عرف مصدر أفكار بطرس – نظر إليه مخاطباً الشيطان قائلاً: "ابعد عني يا شيطان". ومن خلال الصلاة وممارسة السلطان الذي لنا في اسم الرب يسوع يمكننا أن نكسب المعارك الروحية.

وفي حياة نحميا نرى التزاوج بين العقل والروح، الصلاة والبحث. فقد سمع نحميا تقريراً عن أسوار أورشليم المتهدمة وهو في السبي في بابل، فاضطرب لهذا التقرير الذي قاده لعدة أيام من الصوم والصلاة والبكاء على حالة شعبه الروحية. وعندما تلقى أخيراً الإذن والتصريح بالرجوع إلى أورشليم لمعالجة

هذه المشكلة نجده قبل إعلان أي خطة أو تقديم أي برنامج أخذ يفحص أسوار المدينة بكل دقة، مستغرقاً وقتاً طويلاً في دراسة الأسوار، حتى يتأكد من استيعابه لحالتها الدقيقة. وما رآه في دراسته للأسوار تأكد بما أدركه من خلال صلواته.

إن القيادة المسيحية تحتاج بشدة إلى انكسار القلب مع توهج العقل، وإلى بساطة الحمام وحكمة الحيَّات. فمثل هذا الإيمان وهذه المسيحية أداة عظيمة بين يدي الله وسلاح جبار ضد قوات الظلمة.

وحدة الكنيسة:

إن وحدة الكنيسة في المدينة معين قوي في الحرب ضد قوات الشر الروحية. ويعلن بولس الرسول إننا سنجلس مع الرب يسوع المسيح في السماويات مع جميع القديسين: "ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مخلَّصون. وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع" (أف ٢: ٥،٦). وهذا يتضمن أن سلطاننا ككنيسة موحدة يأتي من جلوسنا مع المسيح في موضع حكمه الإلهي. لاحظ تكرار ضمير المتكلمين في حديث بولس.

ومضمـــون هـــذه الفقـرة هـو انتصارنـا علـى الشـر وقـوات الظلمـة (أف ٢ : ٢) فيرسـم لنـا بولـــس صـــورة الكنيســـة الـتي تجلـس مـع المسيح في موضـع سـلطانه لتحكـم جميـع القـوات، لكنـــه يوضـح إن هذا السـلطان يرتبـط بصـورة مباشـرة بوحدتنـا.

وإذ نحيـا بعيـــداً فــإن هـــذه الحقيقـــة تشـــير إلى الســـبيل إلى الانفتـاح والاعتمـــاد المتبـــادل، وتحمــل المسـئولية كأسـلوب حيـــاة. ويُصـــدم معظـم المؤمنــين مــن فكــرة طلــب المشـــورة عـــن الأســـرة ومعـــاملات العمـــل والقـــرارات الشـــخصية الأخـــرى. فـــهل فقـــدت الكنيســـة ســـلطانها الروحـــي بســـبب التـــهاون في هـــذا العنصـــر الحيـوي مـن حيـاة الكنيسـة الكتابيـة حسـب الكتـاب المقـدس؟ إن تأثـــير "المودرنـــــيزم" "modernism" أي التمـــــدن، منتشـــــر ومتغلغـــل، لدرجـــة أننـــا نجـــد أن الكثـــير مـــن الأفعـــال التلقائيـــة الطبيعيـة في الكنيسـة الأولى غريبـة عـن طريقتنـا في التفكـير.

ويبـدو مـن القـراءة العـابرة للأسـفار المقدسـة أن شـيوخ الكنـــائس في العهـد الجديـد كـانوا يعملـون في صلـة حميمـة بعضـهم مـع بعـض. فهذا الارتبـــاط بـين قـادة الكنيسـة مفقـود اليـوم، وأعتقـد أن الكنيسـة لن يكون لهـــا سـلطانها الموعـود في الأسـفار المقدسـة حتـى يعـود ذلـك الارتبـــاط. فـــالوحدة المذكـــورة في (أف ٢) قويـــة وديناميكيـــة فعّالـــة

ولا تتحقق بالسلبية بل بالعمل الإيجابي.

لابد أن ندرك أن أية اختلافات في المنظور أو اليقين بين المسيحيين - اليوم - أقل مقارنة بالمعارك التي خاضتها الكنيسة ككل ضد قوات الشر في المدينة. فينبغي أن نرتفع فوق خلافاتنا اللاهوتية الفكرية العادية، سامحين لبعضنا البعض بحرية الخطأ أحياناً، واجدين لأنفسنا أرضية مشتركة للوقوف معاً في المسيح. ولابد أن نفعل هذا لأننا نعلم أنه: "يقاوم الله المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (يع ٤: ٦).

عندما توجد الوحدة الكتابية يمكن أن نختلف بمحبة، ومع هذا نواصل العمل على تحرير الناس من الخطية ومقاومة قوات الشر وتأثيرها على الهيئات العامة والسياسية. وتعبر هذه الوحدة عن نفسها في صورة التعليم والخدمة. فبالمحافظة على سلوكنا المتواضع القابل للتعليم، ونحن في الوقت نفسه متمسكون بمعتقداتنا اللاهوتية الخاصة، يمكننا أن نتواصل مع المؤمنين من مختلف الطوائف. وهذا يمهد الطريق لبناء نوعية من الوحدة في المدينة مطلقة الأهمية للانتصار على قوات الشر الروحية.

وقد اعتاد الأخوة المورافيون Moravians التعليم بأن الشركة بين المسيحيين هي سر من أسرار الكنيسة وطريقة يقدم

بها الله النعمة لأبنائه. لقد صارت حياة المدينة محمومة، مكتظة بالأعباء الحسية حتى صار الناس معها مستنزفين عاطفياً. والإغواء الذي نقع فيه هو تضييق نطاق صلاتنا بالمؤمنين الآخرين إلى الحد الضروري "للبقاء". وعندما يحدث هذا يتسع الوقت أمامنا لأنفسنا، إلا أننا نصبح بذلك على أرضية خطيرة روحياً.

لو انفصلنا عن العلاقات القوية مع المؤمنين الآخرين لربح الشيطان انتصاراً، متخذاً الخطوة الأولى نحو تشويه الكنيسة. يحتاج المؤمنون في المدينة إلى الشركة مع المسيحيين الآخرين، ويلزم عليهم مقاتلة انهماك المدينة للقيام بذلك. فلا يمكننا احتمال أن نكون بدون التعليم أو الصلاة أو العبادة أو التفاهم وهي الأمور التي خلقنا لأجلها.

لو كانت الكنيسة في المدينة تضم المسيحيين الحقيقيين لصارت كنيسة تسعى – بأي ثمن – إلى بناء الوحدة داخل كل جسد المسيح ككل. فهل كل برامجنا مقدسة؟ وهل نحن مشغولون حتى أننا لا نجرؤ أن:

- ندعو خداماً من كنائس أخرى للحديث من فوق منابر كنائسنا؟.

- نجنب وقتاً لزيارة كنائس أخرى وجماعات مسيحية وهيئات دينية لنرى عملها؟.
- ننشئ علاقة أخوة بين الكنائس في المدينة الواحدة مهما اختلفت انتماءاتها وألوانها؟ .
- ندعو عائلات من أصول عرقية أخرى إلى بيوتنا للغداء، ونقبل دعوتهم لنا؟.
- ننهي خدمة الأحد مبكراً – مرة – لزيارة خدمات الكنائس الأخرى؟ .
- ننشئ أنظمة مدارس الأحد وبرامج للشباب بالاشتراك مع الكنائس الأخرى؟ .
- نتبنى كنيسة صغيرة فقيرة ونسد كل احتياجاتها المادية ونمدها بالخدام حتى تستقر الخدمة فيها؟.
- نتفق مع بعض أعضاء الكنائس الأخرى ليكون لنا معهم صلاة مشتركة منتظمة في المدينة؟ .
- نتصل بخدمات الكنائس الأخرى ومؤتمراتها حتى نتشارك معاً القوة والنعمة والبركة؟ .

- ندعو خدام وشيوخ الكنائس الأخرى للخدمة في كنيستنا من أجل كسر المخاوف بيننا وانعدام الثقة؟.
- نصلي يوم الأحد من أجل الكنائس الأخرى في المدينة خاصة الكنائس التي لا تتفق معنا في الفكر اللاهوتي؟.
- نقيم خدمة تبشيرية مشتركة في أيام الأعياد – عيد الميلاد وعيد القيامة؟.

الأرجح أنه ليس لديك وقت للمشاركة في كل هذه الأنشطة. لكن يجب على كل إنسان مسيحي – لكي يكون مسيحياً كتابياً حقيقياً – أن يجد الوقت للمشاركة الأصيلة المتميزة بالمسئولية والأمانة تجاه المؤمنين الآخرين. فهذا سينحصر حقاً في الطاعة. فلو كنا سنفكر ونسلك كمسيحيين فلابد أن نتقبل اختصار أنشطة المتعة، وتقنين مشاهدة التلفزيون وقيادة عائلاتنا نحو الصداقات المفيدة مع المؤمنين الآخرين وبقية مجتمع الكنيسة. وباتخاذ هذا الالتزام سنختبر السلطان الموعود لنا في الرسالة إلى أفسس (أف ٢ : ٦).

هل يؤدي هذا النوع من الوحدة إلى اختلاف أو فرق في المدينة؟ نعم، ففي سنة ١٩٧٣ وصلت إلى أمستردام من

أفغانستان بعد رحلة طويلة في آسيا الوسطى وأوربا الشرقية. وعندما وصلت إلى أمستردام راودتني فكرة أن أصلي من أجل أن يأتي إلى المدينة طوائف ومنظمات مسيحية أخرى كثيرة. وقد نما داخلي هذا الرأي حينما بدأت في زيارة رعاة الكنائس المحلية وبحث تاريخ الكنيسة في أمستردام. ولم أجد سوى حفنة من الهيئات التبشيرية، وكان واضحاً أن المسيحيين في تلك المدينة منهزمون ومنقسمون ومحبطون. وبدأ المشاركون معي في الخدمة في الصلاة بحرارة لكي يجذب الله إلى المدينة رعاة وأنبياء ومبشرين وعاملين وكارزين وأناساً عاديين. وركزنا صلاتنا على الكنائس التقليدية، كما صلينا من أجل الكنائس الجديدة، فاستجاب الله لصلواتنا بفيض وغنى. فشاهدنا رعاة كثيرين يأتون من راحتهم ليقبلوا دعوة مختلف الطوائف. وأنشئت كنائس جديدة في أطراف المدينة وحولها، ليس بسبب تغيير المؤمنين لكنائسهم، ولكن بسبب قبول غير المؤمنين وغير المخلَّصين لمعرفة الرب يسوع المسيح. كما حضرت إلى المدينة منظمات مسيحية عديدة. وأحسسنا بوحدة القلب والقصد في كل هؤلاء الرعاة والمنظمات؛ لأننا صلينا لأجلهم كثيراً.

وقد لا يعرف البعض مقدار الوقت والصلاة التي كرسناها

لهم. لقد أمضينا سنوات عديدة ونحن نصلي في كل ظهيرة من كل يوم من أجل الرعاة والقادة بالاسم كل واحد باسمه. وكنا نستدعي الخدام في المدينة، ونسألهم عما يحتاجون أن نصلي من أجله. وكان الكثيرون منهم من أصحاب الفكر اللاهوتي الليبرالي المتحرر. وكان بعضهم لم يقبل الخلاص بعد ولكن لم يكن هناك فرق لدينا. فقد التزمنا بالصلاة من أجلهم.

وأثمرت الصلاة. وبالرغم أن لدينا كثيراً من المشكلات إلا أن هناك روحاً صحيحة من الاحترام والحب تسود القادة المسيحيين في مدينة أمستردام. فأقمنا احتفالات مشتركة، وواصلنا اجتماعات الصلاة في الطرقات وأثناء المشي معاً. فأرسلنا العاملين، وساندنا الخدمة بالمال وبالمصادر الأخرى. إن هذا النوع من الوحدة ممكن ويصنع فرقاً في المناخ الروحي للمدينة.

الإقامة في المدينة:

هذا القسم الأخير من الأسلحة الروحية له علاقة بالإقامة في المدينة، سواء في أرقى الأحياء أو أدناها، وسواء في قصر أو كوخ صغير ... إن الله يدعو المسيحيين إلى التنازل عن طموحاتهم وأحلام الراحة والأمان، للالتزام بما يوجههم الله

نحوه من إقامة داخل المدينة.

هذا مبدأ كتابي، ولنا في الرب يسوع مثال قوي، فقد تنازل عن بيته، ولم يكن له موضع يسند فيه رأسه. كما تخلى عن راحة السماوات وعن الغنى والمجد، مخلياً ذاته من كل حقوقه الإلهية من أجل أن يحيا بيننا.

لو كنا سنتبع مثال الرب يسوع لنا - حسب أوامر الأسفار المقدسة فلن يكون إذاً أساس اختيار مكان المعيشة هو مدى توفر الراحة أو الأمان. فالحرب الروحية في هذا المضمون معناها الالتزام بالجيران لتقديم الإنجيل لهم - قولاً وفعلاً - وهذا معناه الإقامة والسكنى.

إنني أدعوك إلى الصلاة من أجل الانتقال من وسط جيرانك إلى جيران أقل منك في الحالة الاقتصادية أو وسط جماعة من الأقليات العرقية لكي تتعلم منهم وتضفي عليهم ما صنعه الله في حياتك. فإن مكثت في مكان إقامتك الحالي، فليكن ذلك بدافع الدعوة وليس الراحة. (لمزيد من مناقشة هذا المبدأ ارجع إلى الفصل السادس من الكتاب).

إن إقامة الخادم تعني أكثر من امتلاك منزل والذهاب إلى

العمل. فهي تعني الانخراط في الهيئات والأنظمة من حولك. كما تعني إرسال الأطفال إلى مدارس محلية، والاشتراك في التنظيمات التي تضم الآباء والمعلمين. وتعني أيضاً الإصغاء إلى الحاجات التي يعبر عنها الجيران، والتأمل فيها أثناء حملات العمل الكرازي. كما تعني الاشتراك في التصويت في الانتخابات المحلية للمدينة، مع المشاركة في قاعات المدينة وتوصيل أصواتنا. إن الإقامة بمفهومها الحقيقي معناها اتباع نصيحة إرميا النبي إلى المسبيين من بني إسرائيل في مدينة بابل: "اطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها وصلّوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام" (إر ٢٩: ٧).

برجوعنا عن الاستهلاك الزائد، وبرفض الخوف ونبذ الاهتمام بسلامة أنفسنا فقط، والاستجابة لدعوة إقامة الخادم نجد أنفسنا منشغلين بمعركة ضد قوات الشر الروحية في المدينة، والتي تسعى لتقسيم الناس إلى أجناس وعزل المسيحيين. لقد بُنيت مناطق سكنية عديدة لحماية القيم الحضارية ذاتها التي تفصلنا. وبرفضنا تبني حدود المجتمع الواعي بأمنه، فإننا نتخذ الخطوات نحو الشهادة القوية كمسيحيين. ولسنا نعني بذلك إننا لا يمكن أن نكون شهوداً

للمسيح لو كنا نحيا في مجتمع سليم راقٍ. وكذلك لا نقصد أننا ينبغي أن نهمل أمننا وسلامتنا. لكن المقصود هو استعدادنا لاقتحام الحصون الروحية الشريرة التي تمنع الكثيرين عن المسيح. ويتم هذا بانتصارنا على مخاوفنا الشخصية وكبريائنا، والتنازل الإرادي عن المكاسب المادية، والمعيشة أساساً في خدمة الآخرين.

وباختيارنا للمعيشة في ضاحية متعثرة أو في منطقة متعبة فإننا نمارس وصية المسيح لنا بالانتصار على الشر بالخير. وبمجابهة الجريمة والعنف والطمع والخوف بروح مضادة لنبدأ خطواتنا نحو هزيمة القوات الشريرة ... نعم حقاً هناك مخاطرة. فقد يتعب أولادنا في المدارس، وقد تتعرض منازلنا للسرقة، وقد تضطرب حياتنا المنظمة. ولكن ما لم نخرج من نطاق الراحة الذي نبنيه حولنا فهل يمكننا القول بأننا حقاً نحمل صليبنا ونتبع يسوع؟.

هناك مخاوف علينا أن نقهرها. لكن الله لا يدعونا لعمل إلا ويدعمه.

في الفصلين التاليين سنطالع المدينة من خلال المنظور الإلهي، مما يتيح الفرصة لتأييد معتقداتنا وتصويب المفاهيم الخاطئة لدينا.

القسم الثاني

معنى المدينة

الفصل الرابع

البحث عن مدينة بانيها هو الله

يمكن أن نتيقن من أن الله خطط لنا وأرادنا أن نجتمع معاً في جماعات أو مجتمعات المدن لأنه خلقنا للشركة. وقد أوضح الرب هذا الأمر في الصفحات الأولى من الكتاب المقدس، حين أوصى آدم وحواء قائلاً: "اثمروا وأكثروا واملأوا الأرض" (تك ١: ٢٧، ٢٨).

وعندما نحيا في شركة قوية مع المؤمنين الآخرين، فإننا نطرق الاشتياق إلى "المعية". ولكن هذا يُعد نقطة البداية وليس كل المعنى. فنمضي من هناك لنكون شعب الله في الموضع الذي نحيا فيه فنمد الحياة بطعم الحب والفرح الحقيقيين حينما نتلامس مع حياة الآخرين من حولنا.

وبإدراكنا هذا يتكون لدينا الإطار الكتابي للإشارة إلى تفهم المدن. فهي من ضمن الأماكن التي يريد الله أن نحيا فيها معاً، حيث تتبدى الحضارات المتلفة وتتجلى تعهداتنا لإتمام خطة الله لحياتنا: "وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض" (أع ١٧: ٢٦).

ومن العجيب أن يكون لنا هذا القدر من الإيمان بسيادة الله ولكن نقاوم فكرة أن المدينة هي من خلق الله. ويبدو لنا إن الله يقدر أن يصنع كل شيء طالما اتفق هذا معنا. إن الله لم يقصد فقط أن ينشئ آدم وحواء مدينة في الجنة بل أيضاً ظل يحيي المدن. فينقي الكتاب المقدس بوضوح إن الله قد رسم "حدود مسكنهم" (أع ١٧ : ٢٦) متمماً بنجاح خطته الأصلية لجميع الناس نحو إتمام مقاصده وهذا يعني المدن؛ صغيرها وكبيرها.

وهل معنى هذا أنه لابد أن يحيا كل إنسان في المدينة؟ السؤال يجانبه الصواب. فينبغي ألا يكون حجم المدينة هو العامل المحدد في قراراتنا عن أماكن معيشتنا. ولا يزعزعنا المناخ الاجتماعي أو قيمة الأملاك. فلنتساءل: أين يريدني الله أن أكون؟ أين ستكون حياتي أجدى له؟ كيف يمكنني أن أخدمه في مكان ما بصورة أفضل؟ هذه هي الأسئلة التي ينبغي على أبناء الملكوت طرحها.

ليست المدن الكبرى سوى تجمع لجماعات مختلفة، شبكات من الناس – لو أردت القول – في مكان واحد. ولا يمكن – واقعياً – أن تخدم أكثر من شبكة واحدة أو جماعة واحدة من الناس في مدينة معينة. ولذلك فالتركيز على إيجاد

مشيئة الله لن يكون "ضخامة" المكان،بل "صحة" دعوة الله للذين دعاني هو إلى خدمتهم والمعيشة بينهم.

وإذ قد توجد في مدينة صغيرة حضارة واحدة، تتضمن المدن الكبرى حضارات عديدة. فينبغي أن نفكر في الناس لا المكان، وفي الخدمة لا الظروف. ويميل معظم المسيحيين الغربيين إلى العرقية، فيلتصقون بمن هم من نفس أبناء جلدتهم، متعامين عن الحقيقة الجديدة أن الله يغير العالم. فالمدينة يستخدمها الله لضم الناس إلى بعضهم البعض وإلى ذاته.

عندما خلق الله المدينة كانت خططه – وما تزال – صالحة. ولكن الإنسان هو الذي سقط وليس الله. ولكن مازالت محبة الله هي التي تجمع الناس معاً. وكان ممكناً لله – بكل التحكم – أن يوقف تحول العالم إلى المدن لكنه لم يفعل ذلك. بل إنه – في الحقيقة – يشجع هذه العملية.

وأحثك ألا ترى في التحول السريع إلى المدن أو التحضر الذي يسود كوكبنا، كعلامة نهاية الزمان ويمكن أن تراها كعمل الآب المحب الساعي لضم خليقته معاً حتى نعود فنكتشف مقصده لحياتنا.

فلو أن بعض الناس رفضوا الخضوع لله فإنه في محبته لهم، يستخدم أقرب جيرانهم من الناس الآخرين ليكشف لهم عن حاجتهم إلى الله. فلن يعوقه شيء عن استخدام المدينة لإتمام مشيئته.

يبدو أن المسيحيين هم أكثر الناس مقاومة لعمل الله في تحويل العالم إلى مدن ولعل روح العالم قد دخلت قلوب المؤمنين أكثر مما نظن. فعندما يكون البند الأول في اتخاذ القرارات هو: "هل هذا الأمر سيجعلني سعيداً آمناً مرتاحاً؟"، فلابد إذن أن هناك شيئاً ما من الخطأ الشديد في الكنيسة. فهل نؤمن نحن بأن الله سيطلب منا التضحية بما نريد من أجل خدمته؟.

إن الغرض من إيجاد فكر لاهوتي عن المدن ليس مجرد مجاوبة التشاؤم والتعامل ضد المدن والموجود لدى كثيرين من المسيحيين، ولكن ليساعدنا في الاستجابة المطبقة لله.

إن الكتاب المقدس كتاب اسخاطولوجي (أخروي) يسجل مقاصد الله من كل تاريخ البشرية. فإنشاء وإعادة إنشاء هذا العالم تبدأ وتنتهي ما بين الصفحات الأولى للكتاب المقدس وصفحاته الأخيرة. ويكشف الكتاب المقدس - فيما بين جلدتيه - عن خطة الله لفداء كل الخليقة.

إن حقيقة أن التاريخ ينتهي في مدينة هي أورشليم الجديدة يعطينا أقصى وضوح عن كيفية القصد في بدايته. فصورة أبناء الله المجتمعين حول العرش في مدينة أورشليم الجديدة يتمم مقاصد الله الأصلية لآدم وحواء. كما أن حفل عرس الحمل في المدينة السماوية يعبّر عن الاحتفال الذي يريده الله عند اجتماع خليقته معاً، ليس فقط في الأبدية بل الآن أيضاً.

وإذ أنشأ الله هذا الكوكب بهذه المقاصد، لم يغير رأيه. فمن خلال التحضر أي التحول إلى المدن يعمل قلب الفادي على جذب خليقته إليه ثانية. فإن لم نحب المدن فإننا نفشل في عمل فدائه لهذا الكوكب.

التعريف الكتابي للمدينة:

ما هي المدينة؟

المدينة أولاً وقبل كل شيء هي "الناس" خلقهم الله وجمعهم معاً ليخدموه، ويعيشوا لمجده. كما أنها "المكان" المدعو إليه الناس ليكونوا وكلاء على موارده، والبيئة التي فيها خليقة الله مقيمين في سلام مع بعضهم البعض، وخاضعين

للحاكم العادل الذي يحكم حسب شرائع الله.

هناك عناصر أساسية عديدة في هذا التعريف، أولها هو "الناس". فالناس المجتمعون معاً هم مجتمع بكل المسئوليات التي يتحملها أي مجتمع متحضر - أقل من المجتمع المسيحي - نحو الله، ونحو بعضهم البعض. فنحن نشتاق كإبراهيم في القديم إلى المدينة "التي صانعها وبارئها هو الله" (عب ١١ : ١٠) لقد غرس الله هذا الشوق نحو المجتمع في داخل أعماقنا، فقدرنا ومصيرنا أن نكون معاً إلى الأبد. ويتبدى هذا الاشتياق في الحال في حاجتنا إلى الحب والصداقة والزواج والرفقة والشركة المسيحية.

والعنصر الثاني في هذا التعريف هو "المكان". وسنناقش هذا الأمر بتفصيل أكبر في الفصل السادس لاحقاً، ولذلك نكتفي هنا بالقول أن الله يختار أماكن تجمع أبنائه معاً. وهذا يعني التجسيد. ويعني أن نستثمر أنفسنا فنوجد مكان الإقامة ونضرب فيه جذورنا بنيّة الإقامة في المكان الذي دعانا إليه الله.

وهناك مبدأ آخر مهم في تعريفنا للمدينة وهو "التوكيل" أو التفويض. فقد أعطى الله لآدم وحواء السيادة على كل الأرض ليس لاستغلالها واستنفادها بأسرع ما يمكن (وهو ما تتضمنه

اقتصاديات النمو)، ولكن لإدارتها بحكمة حتى تُستعمل بصورة طيبة. وبالقطع فإن مشكلة تلوث المدينة والدخان تذكر بفشلنا الذريع في هذا الصدد (الضخاب كلمة منحوتة من مجموع كلمتي ضباب ودخان – ويساهم في وجوده بصفة رئيسية سكان الضواحي). هناك بُعد آخر لتعريف المدينة هو العلاقات المتجانسة. فعندما يزعم وجهاء القوم أن المسيحيين لابد أن يبتعدوا عن السياسة والشئون السياسية، لأن الكنيسة ينبغي أن تتناول الشئون الروحية فقط، فإننا بذلك القول نواجه كارثة. فإن إرادة الله هي تجانس المعيشة بين الأجناس المختلفة، وعدم استغلال الأغنياء للفقراء. فعندما تتواجد هذه الخطايا في المجتمع لابد للكنيسة من أن تتكلم وتعترض. إذ لا يمكن أن تصمت؛ لأن بعضنا يشعر أنه ليس من شأننا الاهتمام "بالأمور السياسية". كما يجب ألا نصمت أمام الخطية، سواء خطايا الفرد أو المجتمع أو المدينة كلها. فإن الله إله عادل. والمدينة هي من فكر الله، ولذلك فكل ما يحدث في المدينة شديد الأهمية للمسيحيين المعنيين.

وأخيراً فإنه لابد للمدينة من حاكم يخاف الله ويحكم بالعدل والاستقامة. فإن تم هذا فهو لصلحة مواطني المدينة. أما

إن كان هناك فساد وظلم ومناورات سياسية وسعي نحو السلطة فلن تتمم هذه المدينة قصد الله لها.

المكان المقدس:

هناك الكثير من الأدلة على وجود فكر لاهوتي للمدينة في الكتاب المقدس. فهناك تقليد حضري واضح عن المدينة، موجود في كل الأسفار المقدسة. وهو تقليد إيجابي في طبيعته، ويشير إلى تقدير الله للأماكن التي يدعو فيها شعبه. هذا التقليد عن "الموضع المقدس" كما يدعوه راي باكل Ray Bakkle (في كتاب المسيحي في المدينة – The Urban Christian) يؤكد لنا إنه حيثما يوجد أبناء الله فهناك يكون الله في وسطهم. ففي العهد القديم غالباً ما كان الشعب يقيم – في موضع معين – مذبحاً ليتذكروا الأمور العظيمة التي صنعها الله معهم في ذلك الموضع. وقد يكون أمر الذكرى أحياناً صلاة مستجابة، وأحياناً أخرى ذكرى لمعركة، أو لاختبار روحي فريد. فلم يخش شعب الله في اعتبار هذه المواضع أماكن مقدسة. فقد اعتبر يعقوب موضع الحلم الذي رآه في الصحراء موضعاً مقدساً ودعاه "بيت إيل" أي بيت الله (تك ٢٨: ١٢-١٩).

ويمكننا أن نعتبر أي مكان موضعاً مقدساً، بما في ذلك أشر المواضع أو أفقر المناطق. فهي جميعها على قدر متساو من الأهمية للرب. ومعنى هذا إن مدينة نيويورك بنفس القداسة أمام الرب مثل كلكتا أو ليفربول أو بلفاست. فإن كنا نخزى من مدينة ما فهذا نابع منا وليس منها.

المدن كشخصيات:

لا يهتم الله بالأفراد فقط، بل بالجماعات أيضاً. فيقدم دعوته ويصنع عهوده مع الأسر والقبائل والأمم. فالعهود التي أقامها الله مع نوح وإبراهيم وداود ونسلهم تؤكد حب الله الفريد لشعبه ولأبنائه الذين خلقهم.

من التقليدي النمطي للناس في الحضارات الصناعية الغربية أن ينظروا إلى بقية العالم بنظرة فردية أكثر من رؤيتهم للعائلات والشعوب الممتدة. وينعكس هذا في اللغة الإنجليزية على توحيد ضمير المخاطب للفرد والجماعة بلفظة "You". والنتيجة معركة لإدراك دعوتنا لشعب العهد. فإننا نفسر الوعود في الكتاب المقدس المقدمة لجسد المسيح (الكنيسة) ولشعب بني إسرائيل تفسيراً فردياً خاصاً.

ولهذا يفوتنا مغزى تلك الأجزاء من الأسفار المقدسة التي تتحدث عن المدن، باعتبارها شخصيات، فغالباً ما كانت الدينونة تتم على المدينة كلها، وليس على أفراد بعينهم فيها. كما كانت المدن توصف غالباً بسمات شخصية (بصيغة التأنيث). فقد أدينت أورشليم على خطاياها. ويكمل النبي أقوال الدينونة على أختيها سدوم والسامرة (حز ١٦).

وكذلك تمنح البركات للمدينة ككل، فهوذا إرميا يقول للمسبيين في بابل: "اطلبوا سلام المدينة" (إر ٢٩: ٧). فلم يطالبهم بالصلاة من أجل أفراد معينين، بل من أجل المدينة بأكملها.

أما في سفر إشعياء فنجد هذا الالتزام تجاه المدينة بأكملها التزاماً حيوياً. فيشير إشعياء إلى خطط الرب للمدينة المجددة، وهو حلم يكتمل في مدينة أورشليم الجديدة (إش ٦١). وهي نفسها المدينة التي بكى يسوع عليها بعد ذلك، وتحدث إليها عندما تنبأ لها عن عماها الروحي الشامل (لو ١٩: ٤١-٤٣). وفي سفر إشعياء أيضاً يذكر النبي وعود الرب لهذه المدينة ببنائها وبخدمة الملوك لها (إش ٦٠).

وتتخذ المدينة لنفسها حياة روحية؛ فالمدينة أكثر من مجرد

مجموع الأفراد بها. فنبوات عاموس عن دمشق وفلسطين وصور وآدوم وموآب تحذيرات لنا إنه علينا ألا نتعامى عن الحالة الروحية للمدينة التي نحيا فيها. فلا يمكن أن نهرب من مسئولياتنا، منتقلين من موضع إلى آخر في المدينة أو مغادرينها تماماً.

هناك علاقات متصلة بين الخلفيات الروحية والتاريخية للمدينة. فكما أن أفعال المدينة السابقة تؤثر في امتهان الساقطات لتلك المهنة، فكذلك فإن أفعال الشعب السابقة الماضية تؤثر على النمو الروحي للمدينة. وكما أن المرأة التي تعرضت للاغتصاب تجاهد من أجل قبول الناس لها، كذلك فإن المدينة التي سلبها تجار غشاشون ستحمل علامات الظلم في ذاتها.

من المسئول عن المدينة؟

كثيراً ما يشير الكتاب المقدس إلى المدن ككيانات متجسدة لها شخصياتها وهويتها الروحية، التي يعتبر الشعب مسئولاً عنها (حز ٢٧ ؛ صف ٢ : ١٥ ؛ رؤ ٢، ٣، ١٨).

ليس المهندس المعماري هو الذي يعطي المدينة شخصيتها

وحالتـها الروحيــة، بـل القـرارات الجماعيــة لسـكانها. ولم يكـن وجود الأشرار فقط هـو سـبب خـراب سدوم، بـل عـدم وجـود عشـرة أبـرار فيـها. كمـا أن دينونـة الـرب قـد أتـت علـى السـامرة بسـبب الظلـم والسـرقة والاغتصـاب والعنـف الـذي فيـها (عـا ٣). فمـا يحـول جماعـة مـن النـاس متفككـة ومنحلـة إلى تجمـع روحـي وشرعي هـو قـرارات التنظيمـات التجاريـة، ومستشـاري المدينـة، بالإضافـة إلى الأخـلاق العامـة للنـاس.

الله لديـه خطـط للمدينـة

مـن الحقيقـي أنـه لـو كـان للمدينـة شـخصية جماعيـة، لكـان ممكنـاً لهـا تحقيـق العـدل الجمـاعي. فـالدور الرئيسـي الـذي لعبتـه أورشـليم في تـاريخ إسـرائيل الروحـي، يعلـن عـن خطـط الله الـتي يشـرعها لجميـع المـدن. ويتـأكد هـذا بدراسـتنا لـدور مـدن الملجـأ في العـهد القديـم. فقـد أراد الله أن يسـتخدم هـذه المـدن – بمواطنيـها جميعـاً وحكامـها المعينـين – لخدمـة المحتـاجين للحمايـة في المجتمـع.

كمـا أراد الله أن تكـون مـدن كنعـان بركـة لا لعنـة: "مـدن عظيمـة جديـدة" (تـث ٦: ١٠). وقـد أدت المـدن أغراضـاً مختلفـة

لبني إسرائيل، بما في ذلك مدن الخازن، مدن الملجأ ومدن الدفاع والحصار، ومراكز روحية للبركة والتجديد (عد ٣٥: ١-٣٤ ؛ ٢أي ٨: ٥،٦ ؛ تث ١٦: ١٨ ؛ مز ٧٢: ١٦ ؛ أم ١١).

.لقد سقطت المدينة

من المحزن أن تفسد الخطية خطط الله للمدن. لقد بنى قايين أول مدينة بعد أن أجهض آدم وحواء مقاصد الله في الجنة، ودعا اسمها "حنوك" ومعناه "بدايتي" (تك ٤: ١٧). وهنا يتجلى الميل إلى الاستقلال والفخر بالمدن. ولكن ليس الأمر كذلك على الدوام. فقد اختبر بعض المبشرين استجابات عامة من المدن بأكملها، عند تبشيرها بالإنجيل. وقد عاين كل من تشارلز فيني Charles Finney، جورج وايتفيلد George Whitefield، وويلشمان إيفان روبرتس Welshman Evan Roberts، في المدن تحركات الله العظيمة وما عاينه يونان في مدينة نينوى لم يكن أمراً بسيطاً بالقطع.

لقد أرسى الملوك – عبر تاريخ العهد القديم – سلطانهم ببناء المدن، لتمجيد أنفسهم وممالكهم. فامتلأت جعبة الشيطان

لكـي يفسـد خطـط الله للمـدن. فيصـرخ إشـعياء النـبي في شـعبه ليقتلـوا بـني ملـك بـابل لئـلا يمـلأ الأرض بمدنـه (إش ١٤ : ٢١).

تسعى المـدن الحديثـة لأن تكـون جماعيـة متنوعـة الحضـارة. فتبدو كمـا لـو أن العديـد مـن القـرى مـن مختلـف الأمـم والحضـارات قـد تكومـت علـى بعضـها البعـض. وهـذا يُعقـد طبيعـة هـذه المـدن الروحيـة، ويصعـب عمليـة إعادتـها إلى الإنجيـل. ولعـل واحـداً مـن أخطـر الأخطـاء الـتي تقـع فيـها الكنيسـة هـو فشـلها في تمييـز شخصية المـدن الحديثـة المركبـة والمتنوعـة روحيـاً.

لابـد أن تكـون سياسـات واسـتراتيجيات الكـرازة الشـاملة لامركزيـة لـو أردنـا لهـا الفعاليـة. فلابـد أن نحمـل الإنجيـل إلى النـاس، لا أن ننتظـر قدومـهم إلينـا. كذلـك لابـد أن نتعلـم لغـة أهـل المدينـة الـتي نكـرز فيـها، ونتحـرك بطـرق حساسـة حضاريـاً. وينبغـي في المدينـة ألا تفصـل بـين التجسـيد والمنـاداة، وإلا صـارت العواقـب وخيمـة.

إن بيـتر بـوس Pieter Bos، وهو مـهندس معمـاري يعمـل في تخطيـط المـدن، وهـو الآن كـارز ومبشـر في أمسـتردام، يقـول في كتابـه صرخـات المدينـة "City Cries": "في المـدن الحديثـة غالبـاً مـا تتخـذ القـرارات بصـورة عشـوائية بغـير اعتبـار لله. وكنتيجـة

لذلك تسقط المدينة تحت نفوذ الرياسات الشيطانية وقوات إبليس. فيستخدم الشيطان الطبيعة المبهمة للمدينة، كوسط يشجع نمو الشر داخلها. فيهرب الناس إلى المدن الواقعة تحت الكذب بدعوى أنهم هناك سيعيشون، فتتجلى النتائج في البيئة والاقتصاد والمشاكل الاجتماعية ومقاومة الإنجيل".

مع أن الله يريد للمدينة خدمة مقاصده، إلا أنها تسقط. ويعتقد معظم المسيحيين المدن شراً بالضرورة. فيتساهلون معها إن كان يجب التعامل معها، ويتجنبونها لو أمكنهم. ويعتقد معظم الناس إن كان الله خلق الإنسان، فإن الإنسان أوجد المدينة. فباتباع هذا المنطق فإن وجود المدينة هو ثمرة للسقوط، ونتيجة لعصيان الإنسان لله، ومن ثم فهو شر متأصل. وحسب هذا الرأي، فإن الشيطان هو الحاكم الفعلي للمدن وليس الله. ولكن هذا الرأي لا تدعمه الأسفار المقدسة. فهو رأي محمّل بالتشاؤم الاجتماعي أكثر مما فيه من بصيرة كتابية.

ليست المدن شريرة بالفطرة أكثر مما هو حال الإنسان. فالإنسان مخلوق على صورة الله، برغم أن الإنسان خاطئ بالطبيعة، ونفس الأمر ينطبق على المدن. فبرغم أن صورتها الحالية مشوهة بسبب الخطايا الفردية والجماعية، إلا أن الله

هو الذي خلق الإنسان للمجتمع والمجتمع للإنسان.

وكما أننا مدعوون لأن نحب الإنسان الساقط، بنفس محبة الله، فكذلك لابد أن نحب المدينة ونحترمها. وينبغي أن نرى في المدينة ما كان مقصوداً أن تكونه، وليس مجرد ما نظن أنها صارت إليه. وأقول "ما نظن أنها آلت إليه" لأن مخاوفنا من حياة المدينة غالباً ما تكون أسوأ من الواقع. وبالإضافة، فهناك ميل لدينا لإنشاء حضارة إنجيلية غير منظورة، تصبغ بعض القيم وأنماط الحياة بالصبغة المسيحية، وتلبسها ثوب القداسة، مع أنها لا تتعدى كونها تعبيراً عما لدينا من أنانية وخوف وقصر نظر حضاري.

فداء المدينة

لقد أعلنت – إلى الآن – أن المدينة من فكر الله، وأن الله يريد للمدينة أن تكون "بركة" لا "لعنة"، وأن المدينة تتميز بشخصيات جماعية، وسمات روحية خاصة بها، وأن الهوية الشريرة للمدينة تنشأ بسبب اختبارات الناس الشخصية الفردية والجماعية، وأن المؤمنين مسئولون عن السلامة الروحية للمدن.

عندما نقارن قول الكتاب المقدس عن قصد الله نحو المدن

بما هو حادث في مدن عديدة هذه الأيام، يزداد الاقتناع لدينا – عن ذي قبل – بأمرين: إن هناك معركة روحية رهيبة تجري في سبيل السيطرة على المدينة، وأن مسيحيين كثيرين قد تخلوا عن تلك المعركة.

لكن بالطبع ليس كل المسيحيين. فالمدينة – بالنسبة لمؤمنين كثيرين – هي المنزل. وأنا أعرف الكثيرين من المؤمنين من مختلف الأجناس والأعراق، يحتضنون المدينة ويكرمونها يومياً.

فما هو مضمون تلك الحقائق بالنسبة للمسيحيين؟. برغم كثرة المضامين، إلا إن ثلاثة منها لها أهمية خاصة وضرورة معينة. أولاً: لابد أن نقر بتحيزنا أمام المدينة، ونستثمر محبة الله في قلوبنا لأجل المدينة. ولن يتأتى هذا بدون الصلاة والتوبة عن أي نقص في الحب. ولن ينمو الحب بدون اندماج شخصي بالناس في المدينة، كما لن يكبر بدون الصلة. فهل استعددت للدخول في علاقة صداقة أصيلة مع الناس في مدينتك؟ وتستقبلهم في بيتك؟. وتزورهم؟.

ثانياً: لابد لنا أن نميز دور الله الفريد للمدينة التي نحيا فيها، وذلك من خلال الدفاع عنها والإصغاء لله، ومن خلال البحث والدراسة، ومن خلال الإصغاء لشعب الله الكائنين

بالفعل في تلك المدينة. فبدراسة التاريخ الروحي لهذه المدينة، وبالفحص الدقيق لعمل أبناء الله في الوقت الحاضر، يمكننا اكتساب حاسة الإدراك والتقدير لاستمرار عمل الله في المكان الذي دعانا هو إليه. فلسنا نخطو في فراغ روحي. فإن الله يعمل، وبتفهم ما كان يصنعه خلال سنوات يمكننا أن نستوعب ما في قلبه بصورة أكبر.

وأخيراً: لابد للمسيحيين وقادة الكنيسة أن يقدموا للمدينة قيادة خادمة. فلا يبدأ المسيحي في إتمام وصية المسيح لنا: أن نكون في العالم ولكن لسنا من العالم، إلا حينما يحب المدينة، ويندمج في شئونها اليومية، ويأخذها في اهتماماته بسبب فسادها،ويكرز بالإنجيل، ويشارك في هيئاتها ويشدد من قوتها.

إننا كمسيحيين لا نتحمل مسئوليتنا بجدية كافية. فدورنا هو أن نكون أكثر من مجرد مشاهد، فنخرج من عزلتنا الروحية، في مسيرتنا – مثلاً – ضد الصور الخليعة، ونختفي إلى أن نتحمس لموضوع آخر. فلنا دور مستمر وهام، قد نتممه، أو نفشل فيه، لكننا أبداً لا ننكره. فنحن أبناء عهد الله يجمعنا الله لخدمة المدينة لنكون حراساً على مواردها، ولننشر السلام في ربوعها، ولنتنبأ لها، ونقودها إلى البر والعدل.

الفصل الخامس

أساطير عن المدينة وحقائق من الكتاب المقدس

الأسطورة: فكرة أو قصة مبنية على التقليد أو الملاءمة للاحتياج أكثر منها على الحقيقة.

الأسطورة المدنية الحضرية: هي الاعتقاد بأن: ١- الطبيعة أقرب إلى الله من التصنيع، ٢ - المدينة غير ذاتية، ٣ - المدن خطيرة مليئة بالجرائم تماماً، ٤ - المدينة مكان غير آمن لتربية الأطفال، ٥- لا يمكن تغيير المدينة.

تميز هذا القرن بأنه قرن الثورة والحرب والمعلومات. وقد يسمى قرن الإنجازات، ما لم ندمر أنفسنا أولاً. لكن لم يؤثر في حياتنا بشكل عام - كجنس بشري - مثلما أثر قرار التجمع معاً في مدن بمثل هذه الأعداد الكبيرة.

وهناك أسباب عديدة على المستوى البشري لهجرة

العديدين إلى المدن: العمل، والتعليم، والهروب من المجاعة، والاستمتاع بالثروات والإنجازات. والملاحظ جداً هو تجمع الناس في المدن بهذه السرعة وبهذه الأعداد الضخمة.

قرن المدينة

بينما كان المسيحيون يهجرون المدن كان الكثيرون من غيرهم ينزحون إليها. ففي عام ١٩٨٠ م كان هناك نحو ١٧٥ مدينة في العالم يزيد سكانها عن المليون نسمة. وفي ١٩٨٩م صار العدد ٣٤٨ مدينة. وبنهاية هذا القرن سيتضخم هذا الرقم إلى ٥٠٠ مدينة. وفي سنة ٢٠٠٠ م ستضم أكبر ستين مدينة في العالم نحو ٦٥٠ مليون نسمة.

ومنذ عام ١٩٤٥م نزحت إلى المدن أكثر من ٤٥٠ مليون نسمة، وحسب تقديرات الأمم المتحدة فإن نحو ٥٠٠ مليون آخرين سيجتاحون المدن خلال العقد الأخير من هذا القرن.

فالجنس البشري يتحول في لمح البصر إلى سكان للمدن. ويصف علماء الديموجرافيا في الأمم المتحدة، هذه الحركة بأنها "أكبر هجرة جماعية في تاريخ البشرية".

فعلى المستوى العالمي، في سنة ١٩٠٠ م يُقدر عدد من

يعيشون في المدينة بنسبة ٥٪ من السكان. أما اليوم فخمسون في المائة ٥٠٪ من سكان العالم يعيشون في المدن، وفي سنة ٢٠٢٠م ستكون النسبة ٧٥٪.

تساعدنا هذه الأرقام على استيعاب حقيقة التمدن أو التحضر (الهجرة إلى المدن) على كوكب الأرض. لكن القليلين منا استوقفتهم هذه الأرقام للتفكير في المضامين التي يحملها هذا التغير الاجتماعي السريع بالنسبة لحياتنا.

في الفصل السابق حاولت وضع أساسٍ كتابي لدراسة المدينة من منظور إلهي ولنستكمل قولنا، من الضروري أن نفحص تحاملاتنا ضد المدينة. فالتحامل متأصل دائماً بشكل مجسّم مما ينتج عنه الخوف والرفض بل وتصديق الكذب. فإن تصديق الإنسان لأكذوبة أو لأسطورة يبرر أفعاله على الأقل أمام ذاته.

فهل تحمل هذه المجسمات أية حقيقة؟ بالتأكيد نعم، ولكن هناك غالباً أنصاف حقائق، مع التعميم الذي يصوغه تجربة واحدة محدودة أو اثنتان أو حادثة غير منسية. والكثير من تحاملاتنا موروث عن الآباء والأصدقاء، يدعمها اتصالنا المحدود بالناس الذين لا نثق فيهم.

وسنكتشف الحقيقة عن ذواتنا وعن أساطيرنا، بالفحص

الدقيق لكل جوانب الأمر، ثم بعد ذلك استخلاص النتائج الموضوعية. والأهم هو اكتشاف الحقيقة برؤية الناس والمواقف من منظور الله. فما يبدو جيداً ومقبولاً لخاطئ متعجرف يأخذ منظوراً مختلفاً عندما يكون الإنسان منكسراً بمحبة الله.

ليست عملية رؤية المدينة – كما يراها الله – مجرد ممارسة عقلية. وإطلاق الأساطير التي تبرر تحفظنا نحو احتضان تلك المدينة بمحبة الله سيتطلب أكثر من قراءة كتاب أو سماع موعظة. فلابد من وجود ملاحقة قوية للحقيقة من خلال الصلاة ولابد أن ينكسر قلب الإنسان حتى يمكنه أن يكون في الوضع المناسب لاستقبال البصيرة الروحية من الرب. وأنا مضطر للتساؤل الآن عن التزامك بمثل هذا الاختبار.

هدم الأصنام التي في أذهاننا

يمكن للأسطورة أن تصبح سريعاً صنماً أو مكاناً روحياً للاختباء. ويمكن أن تصير أمراً مقدساً بالنسبة لنا، لا نريد ولا نقدر أن نستغنى عنه. وكأساطير الأقدمين، يمكن أن تصبح أساطيرنا الشخصية مواضيع للإجلال فتصبح كآلهة بالنسبة لنا، وتحتل مكاناً من الأهمية حتى أنها تصبح أهم من الله

ذاته. وتصبح الأسطورة عن المدينة وثناً في قلوبنا عندما تمنعنا من أن نحب المدينة بمحبة الله، ونشغف بعمل كل ما يريد الله منا عمله لخدمة المدينة.

عندما يستعصي علينا سماع صوت الله وطاعة كلمته إلينا أن نحب المدينة ونحيا فيها، وذلك بسبب استعبادنا لقيم زائفة مضلة ومخاوف شريرة، فحينئذ نصبح عبيداً لأصنامنا. وفي هذه الحالة تضرب الأساطير جذورها في قلوبنا، فنؤمن بها لكي نبرر معصيتنا.

إن الدعوة لرؤية المدينة بمنظور إلهي يتضاد مع التعليم القائل إن الله يريد لكل المسيحيين النجاح المالي والرخاء المادي. هذه التعاليم تهوّن من التضحية، وتجعل من الصعب على المسيحي أن يضع ذاته وحياته من أجل الآخرين.

وسندرس في هذا الفصل بعضاً من الأساطير، وسأحاول أن يكون ذلك بأسلوب موضوعي، فهناك عناصر من الحقيقة في الأساطير الحضرية عن المدن. فنحن نريد أن نتعرف على المشاكل الفعلية للمدن الكبرى ونجد الحقائق الكتابية.

ولا يلزم للإنسان سوى أن يفحص تبعات الأساطير عن المدن ليتحقق من أضرارها: وهي الخوف واليأس والهجر،

وشلل الفعل وانفصال المؤمنين عن المدن، ومعاناة الملايين من الناس دون عون روحي . فلنطالع بعضاً من الأساطير السائدة المستخدمة لتبرير انسحاب الكنيسة من المدينة.

الأسطورة الأولى: الطبيعة أقرب إلى الله من المدينة

يكشف هارفي كون Harvie Conn أنه وجد في مسحٍ شامل أن ٩١,٤ من كل إجمالي المسيحيين الإنجيليين في الولايات المتحدة يعيشون خارج المدن الكبرى التي يصل سكانها إلى أكثر من مليون نسمة (رؤية موضحة للإرسالية إلى المدن) .[A clarified Viston for Urbon Mission P.17]

فرؤية الكنيسة في تلك الدولة، ودورها في المجتمع يصوغه علماء اللاهوت من الريف ومن الضواحي وليس من المدن. فلا عجب إذن أن يكون من الصعب أن نستخدم مرسلين من مدن أمريكا، أو أن نستشير الحركة الإنجيلية داخل المدن، وليس الأمر كذلك دائماً. فخلال العصور الوسطى كانت المدن الغربية تنعم بالحرية وتحديد المصير. وخلال عصر التنوير صارت المدن مراكزاً للحضارة والتعلم. ويبيّن وليم فنك إن تكوّن اللغة الإنجليزية يعكس هذا الرأي المتملق والمستمر عن المدينة.

ونقتبس من كلماته في كتابة "أصول الكلمات" "Word Origins": "من المفترض أن نكون – نحن سكان المدن، وعلى الأقل في الأيام القديمة – أكثر مدنية في سلوكنا وأكثر تمدناً في أساليبنا من الآخرين. فكلا الكلمتين "مدني وتمدن" من أصل كلمة "مدينة". فكل سكان المدن، يُعتبرون كما ترى بشكل تلقائي، متحضرين. وقد استعارت اللغة الإنجليزية من اللاتينية القديمة كلمة "Urbs" وتعني مدينة، واشتقت منها كلمة Urbane بمعنى متحضر أو متمدن، وهي تصف السلوك الناعم الرقيق الذي يميز مجتمع المدينة. كما استعارت الإنجليزية من اليونانية كلمة "Polis" – بمعنى مدينة أيضاً، ليشتق منها كلمة Politic بمعنى المتأدب السلس الفطن الذكي والماهر في الحديث والفعل ...".

لقد أدت ثورة التصنيع في القرن الثامن عشر إلى نمو المدن، وصار الفقر واستغلال العمالة واضحين. وبدأ الناس يخافون من المدن، فصاروا يعتبرونها سبب مشاكلهم.

وصارت المدينة – في أذهان الناس – رمزاً للخلل الاجتماعي والخطية. وقد تمت هذه الصورة إلى أبعاد كبيرة. فتذاع تقارير الأخبار في المنازل يومياً مؤكدة أسوأ المخاوف. فكل

الأخبار سيئة وجميعها عن المدينة.

ولا يتبقى سوى خطة بسيطة وننشئ فكراً لاهوتياً عن الهروب. فما نراه يحدث في المدينة هو شر، ومن ثم فالمدينة شر. ويطلب الكتاب المقدس منا أن نتجنب كل مظاهر الشر، ولذلك فإننا نهرب من المدينة. ولكن ما نظن أننا نراه ليس هو دائماً الحقيقة. فالمدن كالناس. ولا يمكن أن نعالج المشاكل المعقدة بالتعميمات السطحية. يعتقد بعض علماء اللاهوت أن بني إسرائيل كانوا قبائل رحلاً، وأنهم لم يحاولوا كشعب، بناء أول مدينة لهم إلا بعد حكم سليمان. والمضمون هنا واضح: فعندما ضاعت حكمة سليمان بسبب الانحلال الجنسي، سادت نفس الروح في كل البلاد. فانحرف شعب الله نحو ملذات الجسد كما فعل الملك. وقد أدت هذه الشهوة ببني إسرائيل إلى بناء أول مدنهم. لقد لاقى هذا التركيب الفكري استحساناً لدى البعض إلا أن المشكلة الوحيدة هي أنه لا يتفق مع الحقائق الكتابية. ففي الحقيقة – كما يوضح كون Conn – إنه عندما دخل بنو إسرائيل إلى أرض الموعد حثهم الله.على رؤية المدن التي سيشغلونها كعطية منه (تث ٦: ١٠–١٢).

ترتبط هذه الأسطورة في الولايات المتحدة بالحلم الأمريكي.

فالحلم مبني على رؤية بركة الله، التي تتجلى في الوفرة المادية. ويعلم الأمريكان أن الله قد باركهم لأنهم "أغنى دولة على وجه الأرض". لكن مشاكل المدينة تهدد هذا الحلم، ولا تتفق مع مفهوم الرفاهية.

إن رؤية المسيحية المادية هي التي صنعت الطبقات العائلة في العالم. وهذا النوع من السطحية ممجوج لدى ثوار أمريكا الجنوبية لأنهم تمرروا بسبب مظالم الأغنياء نحو الفقراء. ومن المحزن أن معظم الأمريكيين لا يفهمون أن ماديتهم لا تعجب الكثيرين. فقد سمعت أحد الأخوة الأفارقة يتحدى المفهوم القائل إن المادية والغنى هي مقياس مناسب لبركة الله في مجتمع متقدم: "انظر إلى ما فعلته بكم المادية، فقد ملأتكم ليونة، ففقدتم بساطتكم وقدرتكم على التضحية. وتحول أولادكم إلى المخدرات، وصارت عائلاتكم منتهكة. إنني لست ضد المنافع المادية، ولكن لو أنكم مجتمع متطور، فأنا لا أريد ما تطورتم إليه".

يبارك الله الناس، ويمنحهم الرخاء. فالعمل الجاد والأمانة والحياة المستقيمة تؤدي إلى حركة متصاعدة. لكن صبغ المادية بصبغة مسيحية باسم يسوع، وتأييد المنافسة بدون اعتبار

لطبيعة الإنسان الخاطئة، وتقديس النمو الاقتصادي اللانهائي بدون حدود، كل هذه الأمور غير كتابية، بل وتعوق خدمتنا لفقراء المدينة، وتسيء إلى شهادتنا في أعين المنوط بهم العدل في هذا العالم. كما حرمت مؤمنين كثيرين من رؤيتهم لتبشير العالم بالإنجيل. فدفعت بالعشرات من الكنائس الإنجيلية والكاريزماتية إلى التقوقع داخل أنفسها. وفقد رعاة كثيرون حماسهم نحو الضالين؛ متوقعين نمواً سهلاً للكنيسة ناسين أن بركة الله السامية - وليس السر الروحي - هي التي تجلب الناس إلى الكنائس.

لقد نسينا أنه حيثما يوجد الله توجد معه البركة. فحضرته ووجوده أهم من أي عمل نؤديه. وأي مكان يزوره الله بوجوده فيه، هو مقدس، لأن الله في وسط شعبه في ذلك الموضع. فهو في وسط الكنائس الهندية الغربية في مدن بريطانيا. وهو في وسط الاجتماعات اليونانية والإيطالية في الضواحي الغربية لمدينة ملبورن بأستراليا. فالمدينة مقدسة لأن الله موجود فيها.

إن التحيزات الثقافية قد أعمت الكثيرين منا. فنحن نعتقد أن كل إنسان يريد أن يكون في الريف أو في الضواحي. فالحضارة الصينية مثال لشعب لا يطمحون إلى نمط الحياة

الريفية، فهم يشعرون بأمان أكثر وبراحة أكبر عندما يزدحمون معاً في إحدى المدن. لقد خلق الله الشعوب متباينة جميعها. والاعتقاد بأن طريقتنا وأسلوبنا هي أفضل الطرق، لهو أسوأ نوع من الكبرياء الروحي والعرقي.

يحب البعض الريف المطلق المفتوح بينما يفضل غيرهم المدينة. أما أنا فأحب كليهما. وقد سررت – منذ سنوات قليلة مضت – عندما وقع أبناؤنا في غرام نمط الحياة الريفية المزدحمة في أمستردام. وعندما سألهم البعض هل يريدون الحياة في الريف، ظنهم الأولاد مختلين فهم يحبون الحياة في المدينة.

وبرغم نشأتي في منطقة لصيد الأسماك والحيوان، وحبي للحياة الخلوية، إلا أن اضطراري للحياة في كوخ جبلي معناه الموت بالنسبة لي. فعائلتي تملك كوخاً في الجبال نستخدمه في الترفيه العائلي. إلا أن قلبي في المدينة حيث الحركة والعمل، وحيث يوجد الناس. ففي المدينة يكتسب الإنسان حياة. فأنا أحب السير في الشوارع، وأحب الحركة والعمل، والنشاط السياسي، والمتاحف، والمقاهي. فأنا أحب المدينة بمحبة الرب، بل أعشقها. فالسير في شوارعها يجدّد طاقتي ونشاطي.

ليس حقيقياً أن هجومك على المدينة ينعشك روحياً، هذا

بالنسبة لي، فلا تسيء فهمي. فأنا أحتاج لأوقات من الراحة والانتعاش كأي إنسان آخر، لكنني لست متوهماً بأن الريف أكثر روحانية من المدينة. فوجود الله هو الذي يجذب الناس إليه، وليس جغرافية المكان. الله مع شعبه في المدينة، كما في الريف. فقد خلق الطبيعة كما خلق الإنسان للمجتمع، وكلاهما من الله الرب. وكلاهما - الريف والمدينة - يمكن للناس الاستمتاع به.

الأسطورة الثانية - المدينة غير ذاتية

يمكن للمدن أن تكون ذات حياة غامرة. فركوب مترو الأنفاق في نيويورك، أو لندن، أو بومباي، أو باريس، أو مزاحمة الجماهير الغفيرة في هونج كونج، أو لوس أنجلوس، أو سيدني، يُعد تجربة مذهلة. ويحدث نفس الشعور عندما يقود الإنسان سيارته شارعاً بعد شارع بين المنازل، والعمارات الشاهقة في أية مدينة كبرى في العالم ... وبعد الإقامة في الهند أسابيع عديدة، وصفتها زوجتي بقولها: "ازدحام الكريسماس طوال العام".

تقذف المدن الناس بأمور حسية متراكمة. فالأصوات والمناظر

والروائح تشكل كلها جميعاً عبئاً علينا. وهي - بالنسبة للقادم للمدينة للمرة الأولى - تجربة مرعبة للغاية. فهي أكثر من احتمال أي إنسان. ويقول علماء النفس في دراساتهم، أنه عندما يحدث هذا يميل الناس إلى تضييق البؤرة النفسية لديهم، منسحبين داخل أنفسهم لغلقها ضد أي مؤثرات غير مطلوبة.

وهكذا فإن راكب مترو الأنفاق في نيويورك ينسحب داخل عالمه الخاص من قراءة أو أفكار تائهة أثناء ركوبه المترو وسط مئات الركاب الآخرين كتفاً بكتف. وكذلك الساكن في شقة ضيقة في لندن، يتجنب جيرانه الأقربين. فهي محاولة للبكاء العاطفي الشعوري.

إن مفهوم الإنسان المسيحي المتوسط هو أن كل هذه المؤثرات الحسية تؤدي إلى انعزال كبير. وكل ما يمكن أن تراه هو ملايين الناس، جامدة الوجوه، يركضون هنا وهناك بدون أي صلة إنسانية بينهم. وليس عسيراً أن يرى الناس أصحاب الأذهان الروحية في هذا الأمر ظاهرة سلبية. فنحن نضطرب لأجل سكان المدن، متسائلين؛ إن كانوا يختبئون في المدينة، وإن كان هناك من قدم لهم الإنجيل، لنصبح مندمجين شخصياً في حياتهم.

هذا هو المنظور، لكن هل لدينا كل الحقائق؟ هل تصف استنتاجاتنا الحقائق الشاملة العامة أم هي تعميمات؟ وهل قادنا هذا الرأي - بالحقيقة - إلى يأس مريض وغير كتابي تجاه المدينة؟ ولنطالع - إذن - بعض الحقائق التي ستعيننا على تبني رأي أكثر توازناً عن الحياة في المدن الكبرى.

١ - العزلة أمر نسبي:

ليس كل من في المدينة وحيداً منعزلاً. فالكثيرون يحبون المدينة، ويقيمون شبكة كبيرة من الصداقات مع أمثالهم من ذوي اللغة والصلة الحضارية المماثلة.

ويذكرنا "هارفي كون" أن الهجرات الجماعية الكبرى من أوربا إلى الولايات المتحدة وأستراليا في القرن السابق، قد أدت إلى تكون جمعيات تطوعية من كل نوع، وأنشئت جماعات لمعاونة القادمين الجدد أمام حاجز تعلّم اللغة، وفي تقديم المعونة الطيبة والتوعية العرقية والسياسية وفي حضور الكنيسة.

لقد اندمجت معاً الكثير من أحياء الإيطاليين واليونانيين والأيرلنديين، بينما ظلت مستقلة في مواضع أخرى. وينطبق الأمر نفسه على اللاجئين الكمبوديين والفيتناميين في باريس وهيوستون ولوس أنجلوس. ويشار إلى عودة الباكستانيين

والهنود، والهنود الغربيين إلى إنجلترا مظاهرة "ضرب الإمبراطورية" - وهم ليسوا وحدهم، فقد شكلوا أندية وجمعيات داخل مجتمعاتهم الخاصة للتكيف مع ظروفهم الجديدة.

إن اعتبار ازدحام المدينة أمراً غير شخصي، غير ذاتي، ينبئنا بالأكثر عمن يستشعرون هذا أكثر منه عمن يحيون في المدينة. فالطبقة البيضاء المتوسطة ترى المدينة من خلال منظورهم الخاص. وبينما يرى البعض في المساكن ذات الأسرة الواحدة والمقامة في مساحات مفتوحة، يرون في ذلك أمراً طبيعياً وضرورياً، فإن كثيرين من الطبقة العاملة ومن هم من خلفيات عرقية متباينة لهم رغبات مختلفة.

ويبين "كون" أن الاتصال بالآخرين أمر إيجابي، وعلامة على الانتماء، وليس علامة على الازدحام. فسكان المدينة أكثر راحة لأنهم ليسوا وحدهم بل مع غيرهم "

٢ - *الحياة الحضرية في المدينة لا تنشئ عزلة حضرية:*

يستمتع الكثيرون - خاصة الفقراء - بالقرب من أصدقائهم وأقاربهم. وسرعان ما يدرك العاملون مع سكان الأحياء الفقيرة في المدن، أن السعادة لدى الفقراء كائنة في صداقاتهم، فهم

أغنياء في علاقاتهم برغم فقرهم المادي.

وقد اندهش العاملون المسيحيون في "جبال مانيلا المدخنة" عندما رفض من وجدوا فرصة لهجرة جبال القمامة المحترقة، قبول ظروف حياة أفضل، مفضلين البقاء بقرب أصدقائهم. قد يبدو أن سكان المدن الأوربيين غير ودودين تجاه السائح الأمريكي، إلا أنهم يرون أن الأمريكان سطحيون، يصادقون أي إنسان، لكنهم متواجدون اليوم وغائبون غداً. يأخذ ساكن المدن الأوربية "المتحفظ" وقتاً أطول لتكوين أصدقاء، لكن صداقته تدوم العمر كله. وقد يبدو أنه وحيد منعزل بالنسبة لمن يراه، لكنه في حقيقة الأمر له صداقات عميقة يركز عليها بصورة شاملة مطلقة.

ففي أمستردام يزور مقاهيها الثلاثمائة أو أكثر، زبائن منتظمون يتمتعون بصحبة الآخرين، فيتحدثون عن مشاكلهم صراحة مع معارفهم. وقد صرّح لي بعض أصحاب المقاهي هناك بأنهم رغم خسارتهم للمال في المقهى ظلوا يفتحونه حتى لا يفقدوا أصدقاءهم أيضاً.

٣ - *ليست المدينة بالضرورة مبهمة الطبيعة لمن يعيش فيها*

يقول هارفي كوكس Harvey Cox في كتابه المدينة العلمانية

The Secular City أن الكثيرين ينزحون إلى المدينة طلباً للإحساس بفكرة الناس عنهم وهو ما يعتقدونه في القرية، ساعين وراء فرصة إيجاد صداقات مبنية على الاختبار الحر وليس على الجيرة الجغرافية الجبرية.

والحياة في القرية – في هولندا – قاسية جداً بسبب التشريعات الثقيلة التي تفرضها الكنائس الكالفينية البروتستانتية المتطرفة السائدة هناك. وفي تلك البلدة – على الأقل – ينزح الكثيرون إلى المدينة هرباً من التعنت الديني الظالم.

وقد لا يعرف سكان العمارات العالية جيرانهم، لكن ليس معنى هذا أنه ليس لديهم صداقات وعلاقات. وقد يعيش الواحد منهم وحيداً هناك حفاظاً على خصوصية حياته وسريتها، تماماً كما يمتنع الفلاحون عن التقارب مع جيرانهم الساكنين على بعد عدة كيلومترات منهم.

٤ – *حياة المدينة لا تسبب مشاكل عاطفية:*

يعتقد بعض علماء الاجتماع أن حجم المدينة يؤثر على الصحة العقلية للمواطن مسبباً ما يسمى بإرهاق المدينة من عزلة وإحباط وقلق. ولكن دراسة عميقة لسكان مانهاتن تشير إلى

العكس من ذلك:

تم إجراء استبيان في الخمسينات على ١٦٦٠ مواطن من نيويورك، كما تم إجراء استبيان آخر في السبعينات على ٦٩٥ من نفس المجموعة. والنتائج؟ الحالة الصحية العقلية تأثرت بصورة خطيرة عبر الفترة الزمنية بين الاستبيانين خاصة لدى النساء. وفي مسح آخر أجراه المركز القومي لإحصائيات الصحة "National Center for Health Statistics" أكّد نفس النتيجة. وقد سعى المسح لإيجاد أثر المشاكل الصحية المزمنة الناتجة عن الضغوط مثل أمراض ضغط الدم المرتفع، وأمراض القلب وذلك بين أناس تزيد أعمارهم عن ٦٥ سنة. وأوضح أن هذه المشاكل قائمة بين سكان الريف بنسبة ٤٧,٨٪، وبين سكان المدن الصغيرة بنسبة ٤٧,٥٪ وبين سكان المدن بنسبة ٤٠,٥٪".

ليس السلوك مشكلة جغرافية. كما أن المدينة لا تنشئ بيئة غير ذاتية، مع أنها من الممكن أن تساهم في احتياجات الإنسان العاطفية لو لم يقم صداقات قوية عميقة. فالمدينة لا تحض على المشاكل، ولا تخرج أسوأ ما في الناس فالمدينة هي الجماعة، وهي تعكس أعمال الناس أنفسهم تماماً كما أن القرية الصغيرة

تختلف في شـكلها الروحـي حسـب شخصية النـاس فيـها.

الأسطورة الثالثــة: المـدن خطـيرة وبـها جرائـم

تجتـاح الجريمـة كـل المـدن الكـبرى في الـدول الغربيـة. ولا ينكـر أحـد هـذه الحقيقـة، مـا عـدا الذيـن يخرقـون القـانون. إلا أن رد فعـل المسيحي نحـو الجريمـة، بعيـد عـن الحقـائق. تختلـف إحصائيـات الجريمـة مـن حـي إلى حـي. ونظـراً لطبيعـة المـدن الفسيحة المقسمة لابـد أن نحكـم علـى كـل مدينـة حسـب ظروفـها.

ولابـد أيضـاً أن نـدرس تعريـف الجريمـة. فبعـض أنمـاط الجريمـة أكـثر انتشـاراً في منـاطق معينـة، كمـا أن بعـض الجرائـم عـام في كـل المنـاطق. فاسـتغلال الأطفـال، والإدمـان، والتـهرب الضريـبي جرائـم موجـودة في كـل مكـان. وتـتركز جرائـم المـال في أحيـاء الطبقـة المتوسطة. فلـو عاملنـا مرتكـب جرائـم المـال بنفـس القسـوة في الأنظمـة القضائيـة، لتغـير مفـهوم أن الجريمـة تـتركز في المنـاطق الفقـيرة. ولوجدنـا أن الضواحـي بـها نصيـب أكـبر مـن نشـاط الجريمـة.

ونحـن نميـل إلى تعريـف الجريمـة في ضـوء مـا نمـيزه كتـهديد لسـلامتنا، مثـل السـرقة، والسـطو. هـذه التعريفـات المحـدودة للجريمـة محملـة بمخـاوف عرقيـة. بـهذا المفـهوم المحـدود ينتـج

أسطورة أمان الضواحي وخطورة المدن، بل وتستديم به اللامساواة والعرقية في المجتمع.

هناك مدن عديدة في العالم الثالث وفي أوربا أكثر أماناً من مدن أمريكا. وفي حين توجد في بعض الأحياء في المدن الأوربية أخطار جسدية إلا أن معظمها خالٍ من جرائم العنف.

ويميل الأمريكان إلى رؤية كل المدن بمناظير مختلفة الألوان. وقد ننسب الخوف في مدننا إلى كل المدن الأخرى في العالم، وليس مثل مجتمع الولايات المتحدة في جرائم العنف سوى مجتمعات قليلة جداً ولعل المشكلة الحقيقية تكمن في أن الدولة ذاتها نشأت بأسلوب العنف. فيبدو أن روح العنف تسود كل نواحي الحضارة.

في الواقع، لا أرى أي سعي نحو التغيير - في بلدتي - حتى نرى توبة قومية عن الكبرياء والغطرسة في الثورة الأمريكية، وعن أسلوب العنف الذي حققت به الدولة مكانتها الدولية وسيادتها. وأظن أن أهمية استقلال أمريكا عن بريطانيا أكثر من قيمة لدى الطبقة المتوسطة.

إن القول الزائف بأن جرائم العنف مشكلة في مدن الولايات المتحدة فقط، قد انكشف أثناء الهجوم على الحديقة المركزية.

لقد أخذت عصابة الشباب الذين اقتحموا الحديقة المركزية (السنترال بارك) في تلك الليلة يضربون فتاة حتى الإغماء، واغتصبوها بوحشية، فهل هذه مسألة جريمة في مدينة كبرى؟ لقد كشفت تحريات المتابعة أن هؤلاء الشبان يتعاطون المخدرات، وليسوا من المناطق الفقيرة بالمدينة. فقد كانوا أولاداً يعيشون في ملل، من أبناء البيوت ذات الدخل المتوسط والمرتفع، خرجوا ليستمتعوا بوقتهم. فليس العنف مسيطراً على الفقراء فقط.

وحتى عندما توجد هناك مشاكل عنف في الأحياء فإن دعوة أتباع يسوع المسيح هي دعوة إقامة تعهدنا التام لتبعية الرب يسوع. فهل نقدّم نحن حياتنا كاملة للرب يسوع أم لا؟

في التحليل الختامي، ينبغي – بالنسبة للمؤمن الحقيقي – ألا يكون هناك فرق إذا كان الموضع خطيراً أم لا. فينبغي ألا يكون اهتمامنا الأول هو حياتنا الخاصة.

كذلك ينبغي ألا يكون هو مقدار العدل المتحقق فينا وفي بيوتنا. فإن كنت قد سلّمت حياتك بأكملها للرب يسوع، فقد حان الوقت – إذاً – لمنع الشكوى، وللارتكان إلى التعهد الذي قطعته. إن الله يبحث عمن يتنازل عن حقوقه، مضحياً بحياته ليتبعه، في أي

وقت، وفي أي مكان، بلا أعذار، ولا استثناءات.

الأسطورة الرابعة: المدينة ليست مكاناً آمناً لتربية الأطفال

إن تربية الأطفال تحدٍ أينما كان موضعه. ومسئولية الأبوة الصالحة مسئولية مخيفة، وينبغي ألا تؤخذ باستخفاف. فيواجه الأولاد ضغوطاً عديدة أثناء نموهم، ومما يعقد العملية، المعيشة وسط تحديات الحي مما يُعد تهوراً؛ أو ليس كذلك؟.

وبالقطع إن تربية الأطفال في حي من أحياء المدينة، أو في منطقة فقيرة، ليس بالأمر الهين. فلابد لنا من نعمة الله لتعيننا على هذا، وبذلك فإن أي إنسان لديه صلة صحيحة وعلاقة صلبة مع الرب، مطلوب لدعوة الرب. فإن الله يطلب أناساً عاديين لقبول تلك الدعوة. والملايين من العائلات تؤدي هذا بدون أن يكون لها الاختبار.

هناك قصة شائعة بين المسيحيين منعت الكثيرين من طاعة الله عندما يتعلق الأمر بدعوته لعائلاتهم. ومؤداها كالآتي: عليّ – لكي أصبح أباً صالحاً – أن أقدم لأولادي أفضل شيء، فلابد أن ألحقهم بمدارس مسيحية جيدة، وألبسهم ملابس فاخرة تروق لأصدقائهم، وكذلك لابد أن يعيشوا في أفضل منزل ممكن في أرقى حي.

وأنا أعارض هذه القصة لأسباب كثيرة. فلنتأمل المقصود بكلمة "حي جيد" أو "حي سيء"، ولنأخذ لنا مثالاً أسرة من طبقة أعلى من المتوسط، تعيش في حي من ضواحي أورانج كاونتي Orange County في كاليفورنيا.

يسكن هذا الحي الراقي عائلات راقية ذات دخل عالٍ، ينشغل فيها الآباء والأمهات بالعمل الجاد. وهي أسر مادية، تنشغل بالملذات، وغالباً ما يكون الآباء منفصلين. وأحياناً يكون بعضهم متزوجاً للمرة الثانية. ولا تحضر الأسرة الكنيسة، ومراهقوها مجربين للكحوليات والمخدرات. المراهقون في هذه الأسرة مشتركون في الموسيقى الشبابية السريعة. وبعضهم يدخل في علاقة خاطئة. ولا تنسى التلفزيون الذي يعمل لمدة خمس ساعات في اليوم. وفي الوقت نفسه لا يرى الأولاد والديهم إلا لمدة ثلاث دقائق كل يوم.

هذه العائلة المتوسطة تواجه ضغوطاً رهيبة لمهادنة المعايير الكتابية للأخلاق. والحي الراقي الذي يعيشون فيه مملوء بأخطر الشرور، بالشر غير المرئي. فهم يواجهون ضغوطاً وتجارب يومية، للسجود لآلهة المادة والمتعة. فما لديهم أقل مما لدى أصدقائهم، وهم يتنافسون بجنون لمسايرتهم. فهم يعيشون

لأنفسهم، ومع أنهم أناس من أسرة راقية تعيش في حي راقٍ إلا أنهم منفصلون عن المسيح، منتمون إلى حضارة تتغاضى عن أسلوب حياتهم بل وتحضهم عليه.

يتحدث الكتاب المقدس عن عبادة الأصنام بوضوح؛ فإن الله لا يرى فيها شيئاً جيداً بل إنها خطيرة. والأسرة التي تعيش في مثل هذا الحي في حياة صعبة لأن الشر المحيط بهم يبدو لهم جيداً.

إنني أدحض فكرة الحي الجيد والحي الشرير، لأنني لا أتفق مع فروضها الأساسية. فكلمة "جيد" و"سيء" بالنسبة لمعظم الناس، يحكمها الأمان والراحة. فالحي الجيد لا مشاكل فيه، ولا تحديات، وكل الناس فيه في منتهى الأناقة والنظافة. وهذه ليست معايير كتابية. فمكان الإقامة، ونظرتنا للناس ينبغي أن تبنى على قيم مختلفة عن بقية المجتمع؛ فليس ملكوت الله طعاماً وشراباً. ولكن في الحقيقة، يحكم الكتاب المقدس على الأحياء والمدن بعصيانها أو طاعتها لله. ولابد لنا أن نفعل بالمثل.

إن المعيشة حسب المعايير الكتابية يخلق دافعاً روحياً لعائلاتنا، يجعلنا مستعدين على الدوام. فتحفز علاقتنا مع الله

لتلزمنا كأسرة بقضاء وقت في الصلاة والحرب الروحية ضد الشر. وينال أولادنا ميراثاً من التعاطف والعدل والتبشير. وبذلك نقدم لأولادنا قيماً كتابية للمثابرة، في لهيب خدمة المسيح. فهل من عطية أفضل يمكن أن نقدمها لهم؟

كما ذكرت – سابقاً – تعيش أسرتي على أطراف منطقة الحانات في أمستردام. وهنا لا تخفى المخاطر بالقطع. فالكثيرات من الساقطات يعرضن بضاعتهن في الشوارع وفي المحال المخصصة لذلك. وهناك محلات لبيع الصور الفاضحة وأماكن للرؤية، والخطيئة في كل مكان. والكثيرون مصابون بالإيدز. وهناك المئات من المدمنين. فإن سرت في حارات المنطقة في الوقت غير المناسب من اليوم لسلبك اللصوص حافظة نقودك وساعتك.

لقد انتقلنا للحياة في أمستردام ١٩٧٣م. وفي عام ١٩٨٠م عندما كان أولادنا في السابعة والخامسة من عمريهما انتقلنا إلى منطقة الحانات. ونحن لا نحيا هنا بسبب وجوبي، بل لأن ذلك امتياز لنا. لقد اتخذنا هذا الاختيار مع أولادنا بالصلاة، وراجعنا ذلك معهما بانتظام على مر السنوات.

ولم يبد على أي واحد منّا الندم. إننا جميعاً نحب المدينة،

ونقدر الحياة فيها. لقد أعاننا الله بنعمته على إتمام دعوته لنا بفرح. لقد واجهنا الرأي القائل بأن المدينة ليست موضعاً جيداً للإقامة فيه كعائلة، ووجدنا ذلك الأمر بلا قوة ولا فاعلية.

الأسطورة الخامسة – المدينة لا يمكن أن تتغير

لكي نفسر هذه الأسطورة، لابد أن ندرس مشكلة السلطة، وكيف تؤثر على الناس. بعض الناس لديهم سلطة في المدينة، والبعض الآخر ليس لديه. والضعف أو انعدام السلطة معناه تحكم الآخرين في حياتك. والتأثيرات على من ليس لديهم سلطة مدمرة.

ولا يعلم معظم المسيحيين في الغرب معنى الضعف. إذ لم يختبروه إطلاقاً، ولم يجسروا على الدخول في عالم الضعفاء. فإذا اقترب من هذه الحالة المشينة رجل موسر وقفت له مصلحة الضرائب، أو لاقى اتهاماً ظالماً بجريمة لم يرتكبها، وحتى في تلك الحالة يمكنه أن يدفع ذلك عن نفسه بثروته وباتصالاته. إن الغني القوي لديه إرادة الدفاع؛ لأن عنده كرامته، وموارده، فإن فقد هذه الأشياء فقد كل شيء.

المدن هي مراكز القوة في العالم الحديث للاتصالات

والمعلومات والمالية والإدارة. أما بالنسبة لمعظم الناس فهذا معناه الظلم والغش. فالرجل الأسود الذي يعيش في منطقة من المدينة فيها بنوك تكثر بها المخاطر، (فيها "منطقة حمراء" حيث المخاطر أكبر من السماح بقرض شخصي أو لصغار رجال الأعمال) لا يمكنه الاقتراض من البنك تحت الظروف العادية.

يدعو "هارفي كون" هذه العملية ظاهرة "قوة برج المدينة"، ويرد جذور هذه العملية إلى برج بابل. فبرغم أن خطة الله للناس أن يعيشوا في مجتمعات المدينة لإتمام مقاصده، إلا أن البعض عصوا أمره، وحولوا المدينة إلى مكان لتعظيم أسمائهم. لقد كانت المدن ميداناً للمعركة الروحية ضد الشر لمن يقفون ضد سيادة المسيح. وقد سعى الأشرار لتحويل المدن إلى مراكز قوة للطمع والانحراف والفساد.

ويدعو الأنبياء الشعوب التي فشلت في إتمام قصد الله في المدينة لتفسير خيانتها لمجد الله (إش ٤٧؛ إر ٥٠ ؛ عا ١-٣؛ حب ١). ويحذر كاتب سفر الرؤيا من فرض الهلاك على بابل العظيمة بسبب زناها "ويل ويل، المدينة العظيمة بابل المدينة القوية" (رؤ ١٨: ١٠، ١٦، ١٩).

تبدو المدن في هذا العالم كمناطق حرب. ففيها دمار مادي

جسدي، ويأس روحي. فإن عشرات السنين من برامج الرفاهية لم تقدر أن تحوّل هذا المد، ولا الميل الحديث نحو السياسات الاقتصادية المتحفظة. فلأن المدن لها بُعد روحي، فلن يغيّرها إلا من يدرك الطبيعة الروحية للمعركة، ويمارس سلطاناً روحياً حقيقياً. وليس معنى هذا عدم أهمية العمل نحو برامج اجتماعية وإقامة العدل. بل بالعكس، فلن تتغير المدن بدون من يضع حياته من أجل الناس عند اللزوم. وفي قلب هذا الأمر توجد معركة روحية يلزم للقتال فيها الصالحون.

لو أخذ المسيحيون - بمحمل الجد - الدعوة إلى قهر الشر في المدينة فلابد أن تحدث تغييرات في المناطق الأربع التالية:

1. ***لابد أن يكون مدخلنا للمدينة هو الإيمان بأن الله يقدر أن يغير أنظمة القوة فيها***

إن قوة الله مهيمنة بعظمة كبيرة بما يسمح بتغيير أشر المدن. فعندما انتقلت للإقامة في أمستردام راعتني الأعداد الغفيرة ممن لا يذهبون للكنيسة، والانحلال غير المعقول. وعلمنا أن أقل من ٢ ٪ من نسبة سكان أمستردام العظيمة - والبالغ عددهم مليوناً ونصف المليون نسمة - يذهبون إلى الكنيسة. وأن هذه المدينة هي أكبر مصدر لصور الأطفال الفاضحة، فترسل

بالبريد ما قيمته أكثر من بليون (مليار) دولار كل عام.

وعندما بدأت التأمل في سفر يونان، ثار في داخلي عدم الإيمان. وأعترف بأنني قد تأثرت بقوة الشر في المدينة، أكثر من تأثري بقوة الله على تغيير المدينة. وقد استخدم الله نبياً عاصياً ليرد لنفسه مدينة نينوى العظيمة (يون ٤: ١١). وقلت لنفسي لو أن الله قد فعل هذا بمدينة نينوى فإنه يقدر أن يفعله ثانية. فمن يحسن استخدام القوة سيتجاوب مع نعمة الله.

ويشير "هارفي كون" إلى أمثلة كتابية أخرى للتغيير: منسى الملك حكم لمدة خمسة وخمسين عاماً، اتسمت قوته بالغرور وذبائح الأطفال وعبادة الأوثان، وانتهت حياته بالتوبة فردّه الله إليه (٢أي ٣٣: ١-١٣). نبوخذ نصر المتباهي بمدينة "بابل العظيمة"، التي بناها بيديه لتمجيد حكمه (دان ٤: ٣٠) رجع عن تمجيد ذاته إلى تسبيح وتعظيم وحمد ملك السماء (دان ٤: ٣٧). أفسس أهم مدينة رومانية في إقليم آسيا، اهتزت بالتبشير بالمسيح بين أصحاب القوة الدينية هناك. إن القوى في عالم الوثنية أغفلت الأسماء السرية بسلطان سري ليعظم اسماً قوياً آخر هو اسم الرب يسوع (أع ١٩: ١٧).

٢. لابد أن نتوب عن تحيزاتنا للمدينة ونبدي الاستعداد لعمل كل ما يطلبه منا الله لخدمة المدينة:

إن أدرنا الظهور لأحياء المدينة، بسبب تركيبتها العرقية والاقتصادية لهو نمط مغروس بعمق داخلنا، ويرجع إلى القرن الماضي. إنه أمر مسلّم به لكن جذوره في التحامل والخوف.

لقد بدأ رد الفعل، عندما هرب الإنسان المسيحي من الأحياء التي غزاها اليونانيون في أستراليا، والأيرلنديون والزنوج في الولايات المتحدة، والباكستانيون والهنود الغربيون في بريطانيا. ومن نمط الهروب هذا انبثقت الضواحي، والحضارات الجانبية كلها. أما الفقراء الذين لم يقدروا على الهرب فبقوا وجاهدوا متنازعين على حكم هذه الأحياء في صراعات القوة السياسية.

أين مكان الإنجيل في كل هذا؟ هذا هو السؤال – بالتحديد – الذي لابد من مواجهته. فعوض أن نرى يد الله تستجيب صلوات المبشرين، وتجذب أبناء العالم إلى أبوابنا، تفاعلنا في غضب على انتهاك حقوقنا في الحياة في الأحياء التي لم نرد "للأغراب" أن يغزوها. فلم يسع الإنسان المسيحي إلى استجابة المجتمع لهذه الظاهرة، ولكن اتبع قيادة الأشرار.

وقد حان الوقت لتحويل المد. فعندما تدرك حقاً – الخراب الذي أدى إليه هذا الهجر، أعتقد أن ذلك سيؤدي إلى توبة الجادين في خدمة الله.

٣. إنه الوقت للرجوع إلى المدينة:

لابد أن نعود، ليس كمطورين للمدينة لتغييرها إلى صورتنا، ونجعلها مكسباً جيداً لنا، ولكن نعود كخدام لمعونة الآخرين، بوجودنا في وسطهم، ولاستخدام مواردنا للارتفاع فوق الأمور التي تجعلهم عاجزين ضعفاء.

إنني متردد في الدعوة لحركة ضخمة نحو المدن بالتحديات، وذلك لأن الكثيرين منا غير مستعدين لمواكبتها، فالضواحي التي تقطنها جنسيات مختلفة – كمبودية وباكستانية وخلافه – لا تنادي فاعلي الخير من الناس البيض لغزوهم، ولكنهم يطلبون الخدام والمتعلمين والأصدقاء ويرحبون بهم.

إننا جميعاً نطلب أصدقاءً أصلاً ممن لديهم الوقت للإصغاء، وممن يهتمون بما يكفي للفهم والتجاوب بصورة حساسة. وفي معظم المواقف فإن هذا يعني خبرة حضارة الصليب. ستواجهنا أنظمة مختلفة للقيم، وعمليات تفكير متباينة، وأساليب متنوعة في تقييم الوقت وأهميته. وسيرتج كل

إطار تقييم معنى الحياة لربنا. فإن كنت مستعداً لهذه الخبرة مرحباً بالتعلم، نامياً من خلال المواجهة فأنت - إذن - طالب مناسب لدعوة الله للمدينة.

٤. *لا تأتي السلطة الحقيقية من التحكم في إنسان، بل من الخدمة بجانبه كإنسان:*

إننا نتميز بالسرعة في التعبير عن مشاكل الغير ثم افتراض الحلول لها. وهذا لا يقوي الفقير بل يستعبده، لمزيد من علاقات الاعتماد على الغير.

تأتي القوة عندما نمنحها للآخرين. إن أول خطوات تقديم الكرامة لمن استهلكتهم المدينة واستغلتهم هو احترامنا لأفقر فقير منهم، وإيماننا بأن لديهم الكثير لتعليمنا، واعترافنا بعدم فهم مشاكلهم وحلولها المطلوبة. وقد يرفض بعض من نخدمهم الإيمان بيسوع المسيح، ولن يرفضوه هو فقط بل سيتحول بعض منهم ضدنا نحن أيضاً، مستخدمين في ذلك نفس الموارد التي ساعدناهم في إيجادها.

لقد واجه يسوع هذه الأزمة واختار أن يحتضن رفض من جاء يخدمهم النهائي. فغفر لهم، واحتمل الصليب، وانتصر على رفضهم من خلال طاعته للآب. وعلينا أن نتبع مثاله. لقد

تنازل عن حقوقه وعن قوته وسلطانه. ولكنه بهذا ضمن مستوى جديداً من السلطة الروحية. وقد صار الكثيرون أبراراً بسبب طاعته هو.

فلينعم الله علينا بنعمه لكي نضع حياتنا من أجل الآخرين، كما صنع هو معنا.

القسم الثالث

الكنيسة في المدينة

الفصل السادس

وجود مجسم

وصلت كـاترين بـوت Catherine Booth إلى بـاريس ١٨٨١ وهـي في سـن الحادية والعشرين، وبصحبتـها اثنتـان مـن صديقاتـها الشـابات. ومضين يقلـبن المدينـة رأسـاً علـى عقـب. ووصلـن إلى المدينـة في أكـثر أوقاتـها اضطرابـاً، حيـث استشـرت الجريمـة والمرض وإدمـان الكحوليـات والمصادمـات مـع رجـال الديـن. كـانت المدينـة سـدوم جديـدة حقيقيـة، وكـان ذلـك الوقـت هـو الأيـام الأولى للجمهورية الثالثـة في فرنسـا تنتشـر فيـه ذكريـات مريـرة.

ومـن أوائـل الأمـور الـتي تعلمتـها كـاترين وفرقتـها الشـجاعة هـي أن يشبكن غطـاء الـرأس بدبـابيس وليـس بخيـوط قويـة. وهـذا عملـي، فعنـد دخولهـنّ لتبشير رواد الحانـات والمقـاهي كـانوا يمسـكون بخيـوط غطـاء الـرأس مـن الخلـف محـاولين خنقـهن. والواضـح أن أهـل بـاريس لم يكونـوا متقبلـين للإنجيـل فكـانوا يقذفـون اجتماعـات فريـق المبشـرات بالحجـارة الضخمـة. كمـا عـانت أولئـك الشـابات مـن مضايقـات جسـدية وكلاميـة. وفي العيـد الخـامس لجيـش الخـلاص في

باريس جُرح مائتان من الجنود، وقُبض على مائة وخمسة وسبعين منهم، وقُتل جندي واحد.

لم تتخاذل "كاترين بوث" على الإطلاق. وقد ألقت كاترين عظتها الأولى وهي في الرابعة عشر من عمرها. وعندما سُئلت عن أحب فقرات الكتاب المقدس لها، قدمت للناس قصة موت المسيح. وعندما وصلت إلى باريس لقّبوها بالكابتن. وخلال ثمانية شهور لُقبت - ولبقية حياتها - بالمارشال. وكان الفرنسيون - في البداية، يستنكفون من ملابسها ومن لهجتها وتفاؤلها. ولكنهم في النهاية صاروا يحترمونها ويحبونها بشدة. ومنحوها أسمى تكريم يقدمه الفرنسيون: "إنها تحب فرنسا" (عن مجلة هيرالد تريبيون الدولية International Herald Tribion August 15, 1981) بل وعندما كانوا يحاربونها، كانوا معجبين بشجاعتها وبأسلوبها الجريء. وقد رفضت منذ البداية استخدام مترجم: "لو بدأت بعكازين، فسأظل أحتاج على الدوام إلى عكازين". ومازالت تكرّم بعد مائة عام من وصولها إلى فرنسا. فسجلت الكتب والمقالات والاحتفالات الخاصة ذكرى قدوم "المارشال".

لماذا أحبها الناس بهذه القوة؟ ذلك بالتأكيد لأن تأثير

كرازتها على المجتمع الباريسي لم يكن قليلاً، حيث أقبل إلى المسيح – من خلال خدمتها – آلاف المؤمنين. وبنفس القدر من الأهمية، كان اهتمامها ورعايتها بالفقراء. فقد أظهرت الحب والاحترام نحو كل من قابلتهم، ولكن فوق كل هذا رغبتها في أن تصير فرنسية للفرنسيين.فربحت قلوبهم حين صارت منهم.

تجسيد الإنجيل

اتبعت الشابة كاترين مثال سيدها الرب بتواجدها وسط الناس. فقد أدركت أن قلب الإنجيل هو أن يسوع جاء، فعاش فعلياً وسط الناس الذين جاء إليهم. وباندفاع كاترين وفريقها في الحضارة الفرنسية، ومحبتهن للفرنسيين بالتزام كامل، صار للإنجيل وجود مجسد. فإنهن لم يعلنّ الإنجيل بأقوالهن فقط، بل أظهرنه أيضاً في حياتهن.

يقول يوحنا عن الرب يسوع المسيح: "والكلمة صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده مجداً، كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" (يو ١ : ١٤). ويخاطب الرب يسوع تلاميذه، عند نهاية خدمته على الأرض بالجسد: "كما أرسلني الآب أرسلكم أنا" (يو ٢٠ : ٢١). فكان الرب يسوع مهتماً بأن يمضي

التلاميذ إلى كل العالم، بنفس الأسلوب الذي جاء به هو، بالتواضع والمعيشة وسط الناس كواحد منهم.

لم يرسل الله ابنه الوحيد في مركبة نارية راكباً فوق الجموع، صارخاً برسائل نبوية تحذيرية، بل كان يسوع واحداً من الناس، وُلد في بساطة، وعاش في هدوء. تعرضت سمعة أمه العذراء مريم إلى المساءلة بين جيرانها، وفي صباه مات يوسف النجار. وكان يسوع يتحدث لغة الإنسان العادي، وتعلم حرفة النجارة. لم يبق الله بعيداً منعزلاً عن مشاكلنا، لكنه دخل فيها، حين صار إنساناً ولبس جسدنا، وعاش بيننا حياة عادية. وسلطانه يتأصل ليس فقط بسبب كينونته، ولكن أيضاً بسبب أن الخالق قد خطا نحو خليقته.

إن مجيء الرب يسوع المسيح كابن الله، خادماً للإنسان، لهو أسلوب الله في مصالحته لخليقته مع نفسه بل وهو عرض لما ينبغي أن نصنعه في عالم ساقط. فلم يكن ذلك مجرد وسيلة يقدم بها الله الخلاص للعالم، بل كان أيضاً نموذجاً أمام الكنيسة لتقتديه في حياتها، داخل المدينة وخدمتها فيه.

الكنيسة في المدينة

الوجود المسيحي المنفصل عن مثال الرب يسوع ليس مسيحياً. لو لم نتبع مثال الرب في خدمته، فإن حياتنا تنكر حقيقة ما نقول مهما كانت كلماتنا. فالحق كلمة ينطق بها، وحياة تُعاش. وتأتي سلطة الحديث عن حياة الناس من التزامنا بالمعيشة بينهم كخدام.

وهذا هو سبب أن الخدمات التبشيرية من خلال الراديو والتلفزيون يمكنها سريعاً أن تقوّض دعوتها. ويمكن لمن يخدم من خلال وسائل الإعلام أن يوجد انطباعاً للشخصية لا يمكن العيش خارج إطاره، فعندما يعلن إنسان من خلال التلفزيون قائلاً: "جيد أن نكون معكم اليوم في حجرة المعيشة" أو "إننا نصلي من أجلكم الآن" فهو لا يكذب فقط، بل ويختصر الطريقة التي أمرنا بها الله لخدمة المحتاجين.

وليس معنى هذا ألا نستخدم هذه الوسائل في توصيل رسالة الإنجيل، بل معناه إن مسئوليتنا الأدبية في القيام بهذا الأمر، تقع تحت ضغط كبير. فليس هناك بديل لحضور الكنيسة، وتقديم الإنجيل بالحياة، والعمل، والمعايشة مع الملحدين

المتشككين. إن وجودنا الجسدي - كجسد للمسيح - هو هكذا أننا جسد المسيح، ليس بصورة مبهجة أو لأننا آلهة، بل لأن الله قد اختار أن يعلن ذاته من خلال الكنيسة. ففي العهد القديم، كان الله يسكن بطريقة خاصة في خيمة الاجتماع. وعندما جاء الرب يسوع المسيح، عاش في جسد إنساني بشري. والآن فإن الكنيسة كلها جسد المسيح مكان اجتماع الله بالناس.

عندما تفشل الكنيسة المحلية في أن تكون إنجيلاً معاشاً، فليست شهادتنا حية بعد. ولكن عندما نصبح - جميعاً - حسبما أراد الله لنا أن نكون، تصبح الكنيسة شهادة قوية للمسيح.

من الممكن أن يكون الإنسان مسيحياً، ولكن ليس تجسيداً للمسيحية. من الممكن أيضاً أن نتعهد باتباع المسيح، ولكن لا نحيا - بين الناس - حياة حقيقية كمدعوين للخدمة. فقد نبدأ الرحلة ولا نكملها. إن نموذج التجسد، لدى ربنا يسوع، يجبرنا على قبول المسيح مخلصاً لنا. بل ويطالبنا بالتنازل عن أحمالنا الحضارية وعن حقوقنا وعن ارتباطاتنا بمواطنين في الممالك الأرضية. وهذه الحقيقة لا تنطبق على المرسلين والمبشرين فحسب، بل إنها لب الحياة المسيحية بالنسبة لجميع المؤمنين.

فكل قرار جليل عظيم نتخذه في حياتنا - كأفراد وكجماعات - لابد أن يتم في ضوء تجسد السيد المسيح. وحينما نرتقي وظيفة أفضل، هل نسأل أنفسنا عما إذا كانت ستساعدنا في التشبه بيسوع أكثر، أو تعيننا في خدمة مقاصد الله على الأرض؟.أم هل نفترض أنه مادامت هناك زيادة في المال فهذه بركة من الله لنا، ومن ثم - فهي تلقائياً إرادته أن نقبل المركز الجديد أو الوظيفة الجديدة؟ هل يتركز اهتمامنا بالترقي أكثر من خدمة المحتاجين من حولنا؟.هل نميل نحو التقدم أم نحو الموضع الذي يرسلنا إليه الله؟.لا يلزم أن يكون الاتجاهان متنافرين، لكنهما غالباً هكذا.

لقد عاش الرب يسوع في وسطنا حتى نعرف الحقيقة. فقد تحمل عار الصليب وآلامه، وأساء الكثيرون فهمه، واختبر دنيوية حياتنا، وانتظر ثلاثة وثلاثين عاماً في صبر، لكي يقدم الذبيحة التامة، ليصالحنا مع الآب.

وقد دعانا الرب يسوع إلى إتمام نفس الأمر. فعلى المؤمنين - لكي يتبعوا مثاله - أن يقبلوا الدعوة للاندماج في حياة الناس. فبناء علاقات مع من لا يعرفون المسيح هو اهتمامنا، ويأخذ أولوية عن إيجاد المتعة لأنفسنا.

مثال يسوع: الإصغاء والاهتمام

يمكن القول أن الرب يسوع أنفق ثلاثين سنة – في الجسد على الأرض – مصغياً ومستمعاً، وثلاث سنوات متكلماً. أو كما عبّر أحد المبشرين اليابانيين بقوله: " الإنسان عنده أذنان وفم واحد، ولذلك ينبغي أن ننفق في الإصغاء ضعف الوقت الذي ننفقه في الكلام."

لم يكن الرب يسوع يسمع الكلمات فقط، بل كان يصغي إلى القلوب أيضاً، فكان يجيد الإصغاء. فقد توقف عند البئر في وقت الظهيرة، ليتحدث مع المرأة السامرية. واحتضن الأطفال بين ذراعيه متحدثاً إليهم، منصتاً بشغف وهم يثرثرون. لقد جاء ليكون مع الناس. ويستغرق هذا الإصغاء وقتاً. وهذا معناه اضطراب خططنا، ومعناه أيضاً الإحساس بما يحسه الآخرون، والبكاء عند بكائهم، ليس فقط لمجرد أن نربحهم للمسيح، لكن أيضاً لأننا نهتم بهم اهتماماً أصيلاً.

الإصغاء معناه الفهم، فلا أحد يريد أن يكون مهيناً أو محتقراً. فالإنسان يريد أن يعرف أن الناس يفهمونه ويحترمونه، وبدون ذلك لا يشعر بالأمان في فتح قلبه لغيره.

الإصغاء معناه القبول، ولسنا نريد أن يوافقنا الناس على طول الدوام، بل نستحسن أن يكون لدى الإنسان القدرة على أن يرى عيوبنا وأخطائنا، ويحبنا بدون شروط، وفي أعماقنا، نعرف جميعاً أن القبول لا يعني الموافقة، لكن أن يحبنا الناس بغض النظر عن مساوئنا.

الإصغاء معناه الاحترام، إننا نبجل حياة الآخرين بجدية قبولنا للتعبير عما يحبون، وما يكرهون، والإفصاح عن أحلامهم، وريبهم، وأفراحهم، وأحزانهم. فكل إنسان مخلوق على صورة الله، ومن ثم، له قيمة نفيسة. فكل طموح وكل قرار له قيمته العظيمة، سواء اتفق مع الإيمان المسيحي أم لا. عندما نسمح لحالة الإنسان في الحياة – فقره أو غناه، آراؤه السياسية والأخلاقية – أن تمنع احترامنا لإنسانيته وآدميته، نكون قد تعاملنا معه بموقف عدم الاهتمام به جبرياً، إذن فنحن لا نحترمه.

لقد استطاع الرب يسوع أن يتجاوز عن سقطات من عاش معهم، مبدياً نحوهم الاهتمام والعناية كبشر. فبرغم قداسته المطلقة وقوته اللانهائية، أظهر يسوع استعداده للإصغاء والعناية بالسامريين، وجباة الضرائب، والساقطات، والخطاة،

والأطفال، وكل المزدرى بهم في المجتمع، وجميعهم كان لهم أهمية قصوى لديه. وهذا هو كل ما يعنيه التجسد.

وللأسف لم يبد كثيرون من المسيحيين نفس هذا الاستعداد والقابلية. فبسلوكنا نحو غير المسيحيين نظهر - فعلياً - عكس ما صنع الرب يسوع. فالكثيرون من المبشرين قد جعلوا من المسيحية عقيدة أو شيئاً أهم بكثير من الناس، ويضعون التعليم في موضع أهم من التشبه بيسوع. ويقيمون الثقة بالمبادئ والقوانين والاعترافات موضع الثقة بالمسيح. فهناك خطورة - إذاً - أنهم يصنعون مسيحية حسب تصورهم منحنين ومتعبدين لذواتهم هم.

لقد ارتضى الرب يسوع حمل الله، خالق الكون، أن يصير خادماً وعبداً، قابلاً في ذاته السب والافتراء والمرارة والرفض؛ لأنه اختار طريقاً آخر، طريق الصليب، فهو السبيل الوحيد إلى قلوبنا. فلم يطلب مملكة من العبيد يخدمونه اضطراراً، بل جيشاً من خدام المحبة، ممن اكتسبوا إخلاصهم وولاءهم من حب سيدهم. ولهذا السبب صنع أموراً عجيبة عظيمة، بتأكيده على محبة البشر في ملكوته. وكانت احتياجات خليقته تحركه بعاطفة قوية، ليشفيهم بدافع من محبته العظمى. ولم يدفعه إلى

هـذا شـفقة، أو زهـو بقوتـه الإلهيـة، فلـم يكـن بحاجـة لإثبـات إيمانـه – كإنسـان في الجسـد – فـهو ببسـاطة – يحـب النـاس.

بدافـع هـذا الحـب جـاء يسـوع إلى العـالم: "لأنـه هكـذا أحـب العـالم حتـى بـذل ابنـه الوحيـد ..." (يـو ٣: ١٦)، وبنفـس هـذا الحـب يدفعنـا إلى العـالم. وعندمـا تمـلأ محبتـه قلوبنـا سـتدفعنا لتقديـم ذواتنـا، والتضحيـة بحقوقنـا لخدمـة الآخريـن حتـى ولـو إلى الموت لو لـزم الأمـر.

عندمـا قـال يسـوع المسيح: "كمـا أرسـلني الآب أرسـلكم أنـا" (يـو ٢٠: ٢١) لم يكـن يخـاطب جماعـة صغـيرة فقـط، عاشـت منـذ زمـن طويـل، بـل إنّـه تكليـف لنـا نحـن أيضـاً. فالعـالم دارنـا وقـد أرسـلنا الـرب يسـوع إليـه. والتجسـد هـو مثالنـا وقدوتنـا في الحيـاة وفي العمـل المرسـلي الخدمـي. وهـو بالنسـبة لنـا – كأبنـاء الله – الضـوء المرشـد إلى المدينـة. فالمدينـة خلقـها الله وأحبـها، ليـس هـذا فقـط، بـل هـي موضـع دعوتنـا وخدمتنـا للجماعـات المحليـة. وهـي – بالنسـبة لمـن يتمسـك بصـلاح الله في السـماح لهـم بـهذا الامتيـاز – موضـوع مقدس، ومكـان تتبـع فيـه مثـال ربنـا.

إن الكنيسـة – بالنسـبة للجماعـات الـتي تقتـدي مثـال الـرب يسـوع نموذجـاً لحيـاة الكنيسـة الجسـدية – هـي أكـثر مـن مكـان

نوجد فيه؛ فهي موضع الإقامة والسكنى إلى أن نصل إلى المنازل الأبدية. وهي مكان نعيش فيه الإنجيل كخدام، واضعين حياتنا لأجل الآخرين حتى يجدوا الحياة.

الفصل السابع

رسل إلى المدينة

جلس بعض الشباب أمامي، غاضبين بسبب عبادة الأوثان المنتشرة حولهم، معلنين أنهم قد نالوا دعوة تبشيرية لدولة الهند. وعندما وصلوا صدموا من الأعداد الضخمة للأصنام التي يعبدها الناس في هذا البلد الغريب والمثير.

لقد قرأوا عن الهندوسية، ولكن الغضب ملأهم عندما رأوها معاشة أمام أعينهم، حين زاروا معبداً هندوسياً وشاهدوا الآلهة القرود، وعايشوا سجود الهنود فعلياً أمام أصنام منحوتة. وشرحوا خطتهم، فقد أرادوا المضي في الشوارع والمعابد وبيوت كهنة الهندوس، مفسرين للجميع ما يقوله الكتاب المقدس عن عبادة الأوثان، شاعرين بوجوب تحذيرهم للناس من دينونة الله الآتية.

وبدت كل هذه الأمور صحيحة. ولكن ينقصها شيئاً ما. وسألت الشباب ثلاثة أسئلة بسيطة، وخاطبتهم قائلاً: "إنني

أدرك أهمية مخاطبة الناس عن عبادة الأوثان من منظور كتابي. ولكن قبل هذا، فلأسألكم بعض الأسئلة. أولاً: هل يمكنكم التأكيد على مقابلة أي صديق هندي من غير المسيحيين، تعرفونه شخصياً بالاسم، عشتم معه في بيته وعاش معكم في بيوتكم، وتحبونه كإنسان؟" ظل الشباب جالسين في نظرة حائرة لبعض الوقت. وساد السكون وهم يحاولون تذكر اسم أي إنسان قابلوه في الطريق وتناولوا معه كوباً من الشاي، وأجابوا: "في الحقيقة لا، لكننا نسعى لذلك. فنحن لم نمكث هناك سوى ثمانية شهور في الهند ..."

"السؤال التالي. حسناً فهل تخبرونني بثلاثة أو أربعة أمور في حضارة الهند أعجبتكم بشدة، وأظهرتم نحوها الاحترام والتقدير؟". مرة أخرى بدت نظرة الحيرة والتعجب، وارتفعت الحواجب في دهشة – وانعقد الجبين في تفكير عميق، وأجابوا: "لماذا؟ بالطبع لا، وهل رأيت أنت مثل هذا؟ إن هذا البلد تحكمه أرواح شيطانية شريرة – بلد شرير بأكمله. وكل ما فيه دمرته الهندوسية. ألا ترى ذلك؟".

ومضيت إلى السؤال الثالث ألقيه عليهم: "لقد مكثتم هنا – في الهند – ثمانية شهور، وكان لديكم الوقت الكافي لمعايشة

حضارة الناس. ومقابلة الناس ومعرفة احتياجات البلد. فهل قدمتم صوماً من أجله؟ وهل تأرقتم بعبء الصلاة على قلوبكم، من أجل هذا البلد؟ وهل سكبتم الدموع في بكاء لأجل الهند؟".

كان الصمت في هذه المرة مطبقاً ومحبطاً بالفعل.

وشرحت لهم - بمنتهى الحزن العميق في قلبي - أنه ليس لديهم سلطان للتبشير بالإنجيل في الهند. فإلى أن يروا ما هو طيب في حضارة الهند، وإلى أن يعرفوا المواطنين الهنود معرفة شخصية، مرتبطين معهم بعلاقات اجتماعية، ومسددين احتياجات الصداقة لهم. وإلى أن تنفطر قلوبهم بحبٍ عميقٍ نحو الشعب هناك، فلن يكون لهم الحق في التبشير بإنجيل المسيح للهنود، أو رفع إصبع اللوم الرقيق لعبادة الأصنام هناك.

الرؤية بعيني الله

يكتسب الإنسان السلطان للتبشير بالإنجيل والخدمة لاسم يسوع المسيح في مدينة ما. أو دولة معينة ليس فقط بدعوة الله له، بل أيضاً بإتمامه كل شروط هذه الدعوة.

عندما جئت إلى مدينة أمستردام للمرة الأولى، أمضيت ستة

شهور وأنا أتمشى في شوارع كل الأحياء الكبرى في المدينة. وركبت الترام والمترو والأتوبيس، وكل وسائل المواصلات لكي أكتسب الإحساس بالمدينة. وطلبت من الله أن يسمح لي أن أرى المدينة بعينيه. كما طلبت منه العون لاستيعاب حضارتها. وقرأت كل كتاب عن أمستردام وصل إلى يدي. وجلست في المقاهي، منصتاً للناس. وتكوّن لديّ إعجاب بمواطني أمستردام البحّارة، منفتحي القلوب ومحبي المرح.

وخلال تلك الشهور العديدة من التجوال في شوارع المدينة نمت محبتي لها حتى صرت عاشقاً لها.

هناك زعم أن الكتاب المقدس ضد المدينة. ويسعى الناس لتبرير العنصرية ضد المدن، زاعمين أن داود كان راعياً للأغنام. ولكن هذا التحيز لا وجود له في قلب الله، والكتاب المقدس يعلن ذلك بكل وضوح. فهناك أكثر من ألف وأربعمائة إشارة إلى المدن في صفحات الكتاب المقدس. والكثير من هذه الإشارات يعبِّر عن محبة الله وعنايته بأهل تلك المدن ومن حولها. وقد اخترت من هذه الأمثلة أربع مدن وأربعة رجال لدراستها عن قرب. وهذه الأمثلة الأربعة نماذج لإرسالية الكنيسة إلى المدينة في أيامنا هذه.

نحميا وأورشليم

إن اندماج الكنيسة في المدينة. لابد أن يتضمن التزام الكنيسة بإعادة بناء الأنظمة الاجتماعية، والأسرية، والتعليمية، والطبية، والاقتصادية. بالمدينة. وهذا الالتزام بتنمية وتطوير مجتمع المدينة يلزم أن يشمل مدىً واسعاً من الأنشطة التي تشمل كل الجوانب. ومن هذه الأنشطة شجب الأنبياء للظلم ورفضه، والعرض الموسيقى للإنجيل، وتقديم المشورة لمساعدة المجروحين. وكذلك تقديم العمال الأكفاء للمساعدة في تدريب المجتمع وإعادة بنائه، وأيضاً المساعدة في الانتخابات لوضع الإنسان الصالح في مكانه في الحكومة، تأكيداً لاستئصال الفساد والانحراف، وتدعيم الصلاح والبر. وكذلك الكرازة ودعم الكنيسة.

وهذا المدخل الشامل لتطوير المجتمع أعلنه "روجر جرين واي" "Roger Green Way" في كتابه "رسل إلى المدينة "Apostles to the city":

"نحميا المهندس المسئول عن إعادة بناء وتجديد مدينة أورشليم كان في ذهنه شيء خاص لهذا اليوم ... تجمع المسبيون

العائدون من بابل عند "باب العين" في هيكل أورشليم، يحتفلون بعيد الأبواق، وهو احتفال مقدس، رتَّبه الله تذكاراً سنوياً لليوم الأول من الشهر السابع ... بذل نحميا كل جهد ممكن لحث الناس على تجديد المدينة المتهدمة. فأزالوا الأحجار المنهدمة، وأقاموا الأسوار، وبنوا دياراً جديدة. لقد كان عملاً جباراً رائعاً، وكان نحميا فخوراً بإنجازات الشعب. لكن كان هناك مزيد من الاحتياجات. فقد أدرك نحميا أنه لابد من الإصلاح الديني والأخلاقي، ليعطي الأمة أساساً روحياً، يعزلها عن بقية الأمم، ويمنع الفساد المتسبب في خرابها السابق. ولابد من التجديد الروحي، لإتمام الإصلاح الاجتماعي والسياسي، بصورة ترضي الله وتحفظ الشعب. وهذا لن يحدث إلا بانتشار معرفة كلمة الله وفهمها وطاعتها".

وفيما يلي مبادئ مستقاة من سفر نحميا، تنطبق بصفة خاصة على تنمية المجتمع في أي مدينة. ومن المهم أن نعرف أنَّ الأبعاد الروحية والعملية في سفر نحميا متكاملة. وسفر نحميا - في الوقت ذاته - سفر مبادئ القيادة، الذي يعلِّمنا عن الحرب الروحية والإرشادات العملية لتجديد المدن عن أهمية العدل والبر.

١ - نتعلم من سفر نحميا أن تنمية مجتمع المدينة لابد أن تولد بالشفاعة والصوم والاعتراف بالخطية:

استمع نحميا إلى تقرير عن خطايا شعب بني إسرائيل. فقام بكل توحّد عجيب مع شعبه، ليعترف بهذه الخطايا، كأنها خطاياه الشخصية: "فإني أنا وبيت أبي قد أخطأنا" (نح ١: ٦).

فلابد أن تقودنا رؤية أحوال المدن إلى الركوع في ندم وحزن عميقين. ولابد للغضب من ظلم المتسببين في هدم المدينة أن يحرّكنا إلى نقطة التسوية مع الأنانية التي سببت المشاكل، وإلا فلن يكون هناك بكاء أو نحيب.

ومن المهم أن نلاحظ أيضاً أنه في موضع الصلاة تلقى نحميا الوحي والتوجيه من الرب، في كيفية تجديد أورشليم وإعادة بنائها. فالعمل بدون صلاة هو مجرد حماس بشري، أما العمل المتولد عن الصلاة فهو وحي إلهي وتوجيه من الله.

استخدم نحميا أنظمة القوة في عصره لمنفعة شعبه. فلم يتصادم مع الملك غير اليهودي الذي يخدمه، لكن بالحري ناشده المساعدة والتعاون في إعادة بناء أسوار أورشليم.

ينبغـي أن نسعى بكـل وسـيلة ممكنـة لإيجـاد التعـاون مـع الأنظمـة الحكوميـة ونيـل رضاهـا، أو علـى الأقـل عـدم معاملتـها بعـداوة (نـح ٢ : ٢، ٣، ٦). ومـن الواضـح أن هنـاك أوقاتـاً نصطـدم فيـها مـع موظفـين منحرفـين أو أنظمـة قـوة غـير متعاونـة، ولكـن لابـد مـن بـذل كـل الجـهد لكسـب ودهـم وفضلـهم. وعندمـا لا يحـدث هـذا، يشير الكتـاب المقـدس إلى أهميـة كشـف أنظمـة القـوة الظالمـة ومقاومتـها.

٢ – استغرق نحميا وقتاً ليتفهم احتياجات أورشليم:

كثـيراً مـا يتـم عمـل التنميـة بدافـع اللحظـة. ولابـد أن ننتـهج خططاً للتنميـة طويلـة المـدى، وذلـك بعـد انتـهاء الكارثـة. فليـس هنـاك عـذر لنقـص البحـث الشـامل والاسـتعداد الـوافي للمشـروعات الـتي نؤديـها. فقـد تفحـص نحميـا أسـوار أورشـليم، ليتعـرف بـالتحديد علـى الاحتياجـات المطلوبـة (نـح ٢: ١١-١٦).

٣ – عندما نقوم بعمل تنمية لمجتمع المدينة، ينبغي أن نتوقع المقاومة الروحية، في صورة نقد وسخرية ومحاولة رشوة وتهديدات مادية:

تنميـة المجتمع مهمـة روحيـة. إن السـعي لتسـديد الحاجـات

الروحيـة والعقليـة والعاطفيـة والجسـدية لأي شـعب سـيجلب قصاصاً سريعاً مـن القـوات الروحيـة الشـريرة، الـتي تسـعى لتدمـير حياة ذلـك الشـعب.

يجـب أن نـدرس كلمـة الله بعنايـة، لنتفـهم البعـد الروحـي لمصادمـات القـوة، ولنتفـهم الأسـلحة والسـلطان المتـاح لنـا كمؤمنـين. ويوضـح لنـا الكتـاب المقـدس إن أسـلحتنا ليسـت جسـمانية بـل روحيـة، ولابـد أن نتعلـم – لـو أردنـا أن نكسـب المعـارك الروحيـة – كيفيـة السـلوك بـالروح علـى العكـس مـن أعدائنـا. وهـا هـي ذي بعـض الأمثلـة:

- عنـد انتقـاد سـنبلط الحورونـي وطوبيـا العبـد العمونـي وجشـم العربـي لنحميـا واسـتهزائهم بـه، كـان جوابـه هـو الصـلاة، ومواصلـة العمـل (نـح ٢: ١٩؛ ٤: ١–٦).
- عندمـا هـدد الأعـداء نحميـا بالعقـاب المـادي، أقـام الحـراس لحمايـة الممتلكـات والدفـاع عـن الشـعب (نـح ٤: ٧–٩).
- عندمـا خـاف الشـعب، صـرف نحميـا وقتـاً يقويـهم ويشـجعهم، بالإضافـة إلى ترميـم المنـاطق الضيقـة في السـور (نـح ٤: ١٣، ١٤).
- عندمـا تفـرق الشـعب بعضـهم عـن البعـض لاتسـاع العمـل،

وصاروا معرضين للهجوم، أقام نحميا نظام اتصالات، ليعضدوا بعضهم البعض (نح ٤ : ١٩، ٢٠).

- اتخذ نحميا احتياطات عملية وعلّم الشعب مهارات البقاء الأساسية (نح ٤ : ٢١-٢٣).

- عندما علم نحميا بأن هناك ظلماً اقتصادياً بين جماعة المؤمنين اليهود، وأن بعض الناس يستغلون البعض الآخر غضب للغاية، وكشف عن الفساد، وأقام الاتهامات ضد المتورطين في هذا الأمر، ثم عقد اجتماعاً عاماً لتصويب الأخطاء الحادثة. وشارك هو شخصياً في تعديل الأحوال الاقتصادية وتحسينها، مستخدماً موارده المالية الخاصة ليعمل كل ما يمكنه لتصويب الأوضاع.

- لم يكن نحميا خائفاً من مواجهة الفساد، الظلم والانحراف الاقتصادي داخل جماعة الشعب، فربح بذلك ثقة الشعب، وأتاح لهم العمل في سلام وتجانس (نح ٥ : ٦-١٣).

- عاش نحميا حياة منضبطة، وأعطى لشعبه مثال التدبير الاقتصادي. وقد منع هذا عنه أي اتهام من أعدائه

باستغلال الشعب لربح ذاتي (نح ٥: ١٤، ١٥).

- وعندما أغراه أعداؤه بمصيدة، رفض نحميا الدخول في مناقشات عقيمة مع من يقاومون عمل الله. فلم يقابل سنبلط وطوبيا وجشم (نح ٦: ١-٣).
- عندما أراد سنبلط أن يناور نحميا بالهجوم على سمعته، لم يستسلم نحميا لمطالب أعدائه، بل أجابهم بصدق، موضحاً لهم الحقائق، لكنه أدرك أن المحرك لأعدائه هو بث الخوف في قلبه، فاتجه إلى الله طلباً للعون، معترفاً بأن المعركة هي للرب (نح ٦: ٧-٩).
- وعندما أدرك نحميا أن أنبياءً كذبة قادمون للنطق ضده بنبوات التهديد والتحذير لم يتساهل بأية طريقة أمام هجماتهم (نح ٦: ١٠-١٤).

٤ - أدرك نحميا أهمية تعليم الناس شريعة الله والمناداة بكلمة الله أثناء تجديد المدينة:

أصر نحميا على قراءة كلمة الله علانية، ودعا الشعب إلى تفسير كيفية معيشتهم. فلم يكن يتجاهل الأبعاد الروحية لشعبه على حساب رعايتهم مادياً وجسدياً. وشجع حركة الإحياء

والنهضة القائمة على التوبة والتعويض العام. وطالبهم باستئناف العبادة، موكلاً هذه المسئولية إلى الممسوحين خصيصاً لهذا العمل (نح ٩ : ١-٨ ، ٣٢-٣٨).

٥ – عاش نحميا وسط الناس الذين دعاه الله لخدمتهم:

من المستحيل خدمة الناس بقوة في مشروع تنمية المجتمع بدون الإقامة وسطهم (نح ١١ : ١ ، ٢). ومع استحالة هذا الأمر في بعض الأحوال، إلا أنه لابد من بذل كل جهد ممكن للمعيشة بالقرب منهم.

٦ – كان لدى نحميا نظرة شمولية لتنمية المجتمع، تكاملت مع العبادة والاحتفال في عملية تجديد المدينة:

غالباً ما تكون لدى الناس نظرة ضيقة عن تنمية المجتمع، فيفكرون في تدريب الوظيفة، والعمل، والمناورة السياسية، وإطعام الفقراء. كما ينبغي أن تكون احتفالات العبادة جزءاً من عملية التنمية. ولم يخف نحميا من تشجيع الناس على الاحتفال بالعبادة. فقد كان هناك حزن شديد على الإعلان عن خطاياهم. ولذلك أعلن نحميا عن الاحتفال بعيدٍ للحب. وطلب

من الشعب الامتناع عن النواح والنحيب حتى يتلقوا نعمة الله (نح ٨: ٩-١٢).

٧ - وقف نحميا ضد الأنبياء الكذبة والمعلمين المضلين والكهنة الأشرار الذين كانوا جميعاً يفسدون المدينة:

تحتاج المدن اليوم نهضة وإحياءً بين من يستغلون كنائس الزنوج والأسيويين، مستخدمينها لمنفعتهم الخاصة. ولابد من مواجهة الكهنة الكذبة بخطاياهم. فيجب أن تتطهر الكنيسة من كل هذا.

تم العمل في بناء سور أورشليم في اثنين وخمسين يوماً، وبارك الله عمل يدي نحميا لأنه رجل سلامة وشجاعة. فاتزانه مثال لكل من يرغب في العمل في المدينة، وينبغي أن نقتبس صلواته أيضاً:

"فطهرتهم من كل غريب وأقمت حراسات الكهنة واللاويين كل واحد على عمله، ولأجل قربان الحطب في أزمنة معينة وللباكورات، فاذكرني يا إلهي بالخير" (نح ١٣: ٣٠، ٣١).

يونان ونينوى

بعد السير في شوارع أمستردام لمدة ستة شهور تثقلت نفسي. فقد مررت بمنزل فمنزل، وسرت عبر المباني الشاهقة الواسعة التي يسكن في كل عمارة منها نحو ألف وخمسمائة نسمة. ورأيت مناطق فقيرة، وأحياء سكنية متردية متهالكة. ومررت بمئات الآلاف من الناس، ممن لم يعرفوا الرب يسوع المسيح. وقد أوضحت لي دراستي وبحثي أن هناك ثماني أو تسع كنائس إنجيلية في مدينة أمستردام، وأن نسبة الحاضرين في الكنائس أقل من ٢٪ من السكان. وقيل لي أن واحداً بالألف من سكان المدينة متمسكون بالمسيحية، مع أنه لا يمكن الجزم بذلك قطعاً.

وقد علمت أن أمستردام هي عاصمة الجنس في أوربا. وأن ما بين أربعين ألفاً إلى خمسين ألفاً من الشواذ جنسياً يزورون أمستردام كل أسبوع في عطلة نهاية الأسبوع. وشاهدت بنفسي أندية الجنس ومحال تصوير الأطفال صوراً خليعة. ورأيت القوّادين يقفون أمام مسارح المدينة، يدعون الناس إلى مشاهدة حية للأفعال الفاضحة. كما قرأت الإعلانات في المجلات تضعها بكل فخر هيئة تنشيط السياحة، معلنة متعة أمستردام في منطقة الحانات المشهورة.

لقد عايشت مدينة ذات جو سياسي متقلقل، وحركة شباب راديكالية. تهتم بشدة بمشاكل العالم، كالتفرقة العنصرية، والتسليح النووي. وزرت أبنية متداعية اقتحمها الشباب، وحولوها إلى بيوت للذاتهم. واستمعت إلى هؤلاء الشباب يتحدثون بحماسة عن الظلم الاقتصادي، وجور ملاك وأصحاب الأراضي الذين يتمسكون بأبنيتهم الحالية حتى يرفعوا أسعار الإيجارات لأعلى، وذلك في المنطقة الحرة من المدينة.

في الحقيقة إنني لم أر أملاً لمدينة أمستردام إلى أن قرأت سفر يونان. ففي ذلك السفر الصغير، اكتشفت كيف استخدم الله نبياً متباهياً ليرد إلى ذاته واحدة من أشر المدن في تاريخ البشرية. لقد ظلت نينوى لمدة ألف وخمسمائة سنة عاصمة جبارة قاسية، لمملكة لم تنهزم أمام أية قوة عسكرية أخرى. وقد تم العثور على أطلال لسورين على الأقل حول المدينة. وكانا من العرض بحيث يتسعان لسير ثلاث سيارات جنباً إلى جنب. ويقدّر بعض علماء الآثار أنه كان حولها أحد عشر سوراً مختلفاً.

ومن قراءة سفر يونان نعلم أن يونان استغرق ثلاثة أيام سيراً إلى أن وصل إلى المدينة (يون ٣). وقد اشتهرت نينوى

بقوتـها الحربيـة وقسـوتها أمـام أعدائـها. وقـد اسـتغرق الأمـر استخدام اثني عشـر ألـف عبـد لـمدة عشر سنوات لبنـاء قصـر الملك. كما اشتهر هيكلـها بعبـادة الزنـا وممارسـة الدعـارة.

كـانت نينـوى عاصمـة لأشـور ألـد أعـداء بـني إسـرائيل الرئيسيين، إلى الشمال، وكثـيراً مـا غـزا أهـل نينـوى القـرى في شمـال مملكـة إسـرائيل، وهكـذا تولـدت الكراهيـة نحوهـم بـين شـعب الله. ولا عجـب إذا أن تقـاوم نينـوى دعـوة الله بـالعودة، والمناداة بدينونـة الـرب عليـها، بـل وخلاصـه لشـعب نينـوى.

لـو وجـدت صـورة للكنيسـة في عـالم اليوم لرسمتـها لنـا الأعـداد الأولى لهـذا السـفر الصغـير، فقـد كلـم الله نبيـه يونـان، ودعـاه للذهـاب إلى المدينـة، فركـض يونـان إلى الاتجـاه الآخـر، وذهـب إلى الميناء، واشـترى تذكـرة في سـفينة متجهـة إلى ترشـيش. وبينمـا هـو في السفينة، ثـارت عاصفـة عاتيـة، ونـام يونـان بينمـا نينـوى ذاهبـة إلى الجحيم. وهـذا هـو مانتعلمـه لكنائسـنا اليـوم.

١ - *نتعلم مـن هـذا السفر أن الله يحـب المـدن:*

فلـم يحـب الله نينـوى فقـط وأرسـل إليـها يونـان، بـل يحـب أيضـا كـل نينـوى موجـودة في العـالم؛ فيحـب ليفربـول ولنـدن

ولاجوس وبانكوك وسان فرانسيسكو وواشنطن وكل مدن العالم.

والسؤال الذي يجب طرحه هو، هل نحب المدن كما يحبها الله؟ وهل نتشبه بيونان في رد فعله تجاه نينوى، أم أننا نتشبه بالرب يسوع في محبته والتزامه بالشعب؟

٢ - بعض المدن حيوية واستراتيجية بالنسبة لمقاصد الله:

ركز الله انتباهه على مدينة نينوى بسبب كونها مصدرا لتأثير الشر العظيم، بل وأيضاً بسبب كونها ستصبح مصدراً لبركة عظيمة. وقد اختار نينوى لأنه أراد لها أن تكون مثالاً للبر. واندلع انتعاش روحي في نينوى، .مكتسحاً المدينة بأكملها، من الملك الجالس على العرش إلى أصغر عامل بسيط. فياله من تأثير على القرى المحيطة! ! ولكن يبدو أن الانتعاش قد اختصره رد فعل يونان. فماذا يحدث لو استجاب يونان لله بصورة مغايرة؟

٣ - إن الله يستخدم أناساً ضعفاء:

عندما قرأت سفر يونان تشجعت، متفكراً في داخلي، لو أن الله استخدم يونان فيمكنه استخدامي أنا أيضاً. هل فكرت ذات يوم إن الله لا يمكن أن يستخدمك لعدم درايتك بالفكر

اللاهوتي مثلاً؟ أو لافتقارك إلى المواهب؟

إن ضعفاء العالم حلّوا موضع الأقوياء ... حقيقة إننا نعرف أنه لا يمكن أن نصنع شيئاً حسب إمكانياتنا، إن كنا نعتمد على الرب. فلا يأخذك الشر في المدينة أكثر مما تأخذك عظمة الله. فعظمة الله يمكنها من خلالك أن تصنع فرقاً واختلافاً جباراً.

٤ - إن الله يستخدم بساطة التبشير:

ياله من درس قوي! ومع هذا كثيراً ما تتجاوزه الكنيسة. ففي وسط كل العمل المرسلي الكرازي، وفي وسط كل الاهتمام بالفقراء يجب أن توجد المناداة بالأخبار السارة ليسوع المسيح، سواء أتم هذا بالموسيقى، أو بالعمل الطبي، أو بتنمية المجتمع، أو بعمل الكنيسة. فكل ما نصنع لابد أن يكون السيد المسيح محوره.

٥- هناك رجاء للمدن:

يصل جاك إيلول Jacquess Ellul في كتابه "معنى المدينة The Meaning of the city" إلى خلاصة أن المدن موضوعة تحت هيمنة الرياسات والقوات الشريرة. وينتشر التشاؤم في

كتاب "إيلول Ellul" خاصة عند مقارنته بين مدينة الله ومدينة الإنسان. وبرغم النقطة التي درسها إيلول Ellul جيداً، وهي أن البشرية تسعى لإيجاد بديل زائف للمجتمع في المدينة نتيجة لعصيانها لله، يجب ألا ننسى أن الله هو الذي وضع داخل الإنسان الاشتياق إلى الجماعة وإلى المدينة وإلى معية الآخرين؛ وذلك منذ بداية الخليقة.

ويمضي كثيرون من علماء الاجتماع إلى أبعد من رأي إيلول Ellul متثقلين بمشاكل البشرية الساقطة في ضوء المدينة. وبدل المشاركة في هذا التشاؤم، من المهم أن نتذكر أن الله قد رتّب إقامة المدينة، وأنه عندما يحيا لإنسان حسب كلام الله ووصاياه، تنال المدينة الفداء "ببركة المستقيمين تعلو المدينة" (أم ١١ : ١٠).

وبالإضافة فإن فداء مدينة كنينوى وانتعاشها روحياً، يشجعنا أنه ليست مدينة أبعد من فداء الله.

إنه إنذار لكل من يحمل اسم المسيح، إن الله يريد أن يعمل في المدينة، سواء تعاون الإنسان معه أو لم يتعاون. فسوف تنقرض سيادته. وسوف يسعى إليه الإنسان – رجلاً أو امرأة – ويجده. وسيفدي الله الناس والأحياء السكنية والمدن.

والسؤال الآن هو: هل سنظل خارج عمل الله - مثل يونان - متأملين؟ أم سندخل إلى عمق عمل الله لفداء المدينة؟

إنسان من عامة الشعب وأنطاكية

كانت أنطاكية أول مدينة أممية يُقام بها كنيسة. وهي أول مدينة ترسل إليها الكنيسة العامة مبشرين. كما أنها أول كنيسة ترسل العون المادي لكنيسة أخرى. وكذلك هي أول كنيسة يُدعى فيها أتباع المسيح بالاسم الحلو العجيب "مسيحيين ".

تقع أنطاكية المدينة الرائعة، على نهر العاصي، وكانت عاصمة لولاية سوريا الرومانية، وتُعد ثالث أهم مدينة في الإمبراطورية الرومانية. وهي مدينة وثنية عسكرية، متعددة الجنسيات، مولعة بالجنس. وفي كلمة واحدة إنها مدينة عصرية.

والمثير أن كنيسة أنطاكية كان لها بعض من أزهى الخبرات المسجلة في الكتاب المقدس. ففي أنطاكية تقابل بولس مع بطرس وجهاً لوجه، وفيها ثار الجدل حول الختان.

وحسب قول تشارلز لودفيج Charles Ludving في كتابه

"المدن في وقت العهد الجديد Cities in New Testament Times" فإن الإسكندر الأكبر هو الذي اختار موقع بناء مدينة أنطاكية. وبعد هزيمته في فارس على يد داريوس الثالث، سار الإسكندر الأكبر جنوباً حيث بدأ في فرض حصار مدته سبعة شهور حول مدينة صور. وتوقف إلى الشرق من المدينة، حيث شرب من نبع هناك. وكانت المياه عذبة ومنعشة، حتى أنه قرر بناء مدينة في ذلك الموقع. "وقد صار سلوقس - أحد قواد الإسكندر الأكبر - في النهاية حاكماً على سوريا، وإذ تحرق سلوقس أنطاكيوس إلى تخليد اسم أبيه أنطاكيوس شرع في بناء مدينة باسمه".

كانت الكنيسة في أنطاكية موضعاً قوياً روحياً. واتبع الكثيرون نمطها ككنيسة في الحياة. ومع أن كنيسة أنطاكية قادها رجال عظماء كبولس وبرنابا، إلا أن مؤسسها الفعلي هو رجل من عامة الشعب، هرب من الاضطهاد الواقع في مدينة أورشليم.

"أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية، وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط. ولكن كان منهم قوم وهم

رجال قبرصيون وقيروانيون، الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع. وكانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب" (أع ١١: ١٩-٢١).

وعندما ذاعت أخبار هذا النمو، ووصلت إلى أورشليم، أرسل قادة الكنيسة هناك الرسول برنابا إلى أنطاكية. فرأى نعمة الرب في الكنيسة، وفرح معهم. وبقيادة برنابا انضم إلى الكنيسة عدد كبير من الناس. وذهب برنابا إلى طرسوس يبحث عن بولس ليحضره معه إلى أنطاكية، للمعاونة في قيادة عمل الله المزدهر في تلك المدينة.

وقد تعجب الكثيرون من قوة الكنيسة وتأثيرها على مدينة أنطاكية. فما هو سر نموها وقوتها الروحية؟ تبرز أمامنا سبعة أمور نتعلم منها حياة الكنيسة في المدينة.

١ - قوة الشركة:

كانت الكنيسة في أنطاكية شركة أخوة، متعددة الجنسيات، مكونة من أعضاء من أفريقيا، ومن آسيا، ومن أوربا. وكان كل من اليهود السابقين والأمميين يتعبدون، ويصلون معاً، في تناسق وتجانس. فلو أردنا للكنائس اليوم أن

يكون لها تأثيرها على المدن في عالمنا المعاصر الحديث، فلابد أن نتجاوز الحواجز العرقية، والمعوقات الحضارية التي تقسم المجتمع. وعلى الكنيسة أن تبدي قوتها في صهر كل الطبقات معاً. وبرغم نشأتنا عبر خطوط عرقية وحضارية، ينبغي ألا نسمح لهذه الخطوط أن تصير جدراناً.

فإن أردنا القوة فلابد من الوحدة. ولابد لهذه الوحدة أن تكون عرضاً أمام المجتمع، أن ما يقسم المجتمع لن يقسم الكنيسة على الإطلاق.

٢ - قوة فريق القيادة:

عندما سعى برنابا لإحضار بولس إلى أنطاكية، أنشأ بذلك خطة من رسم الله، للقيادة في أنطاكية. فقد أدرك برنابا أنه لا يقدر على قيادة الكنيسة بمفرده، بل يحتاج إلى العون. واتسع فريق القيادة في النهاية، ليضم أنبياء ومعلمين ومبشرين ورسلاً ورعاة. لقد كانت مجموعة متناسقة تتكامل مواهبها بعضها مع البعض.

هذا الجمع من الناس يلزمه دائماً قيادة متكافئة. فالتكافؤ لا يعني عدم اعترافنا بمن يملك نضجاً أكبر أو مسحة أعظم.

كما لا يعني عدم اعترافنا بالحاجة إلى السلطة النظامية المنظمة وسطنا. فإن كنا نسعى نحو شركة متنامية ومستقرة، يلزمنا فريق من الناس رجالاً ونساءً، متنوعي المواهب والشخصيات، مع احترام المسئولية وتقديم الاتزان والتوجيه نحو جماعة المخدومين.

٣ – قوة كل عضو في الخدمة:

عندما نقرأ عن كنيسة أنطاكية، نجدها كنيسة شجعت أعضاءها على الانخراط في الخدمة. فكان القادة منظمين للعمل، والناس خداماً. والذي بدأ الكرازة في أنطاكية، وأنشأ الكنيسة بها إنسان عادي. كما أن الناس العاديين بشهادتهم في المحال وفي المتاجر صاروا يُدعون مسيحيين أي أتباع المسيح.

٤ – قوة التعليم:

"وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون، برنابا وسمعان الذي يدعى نيجر، ولوكيوس القيرواني، ومناين الذي تربى مع هيرودس رئيس الربع، وشاول" (أع ١٣ : ١). لا يمكن أن نهّون من قوة التعليم بكلمة الله. إن المناداة المعتمدة على الحقائق الكتابية الأبدية تضفي تأثيراً قوياً على الناس.

والنتيجة نمو الكنيسة في العدد، وفي النضج الروحي. وقد تعلمت كنيسة أنطاكية طرق الله. وتعلّم المسيحيون الجدد كيفية الإخلاص لسيدهم الرب. كما تعلم القادة كيفية إمداد القديسين باحتياجاتهم، والخدمة الأمينة لأبناء الله.

٥ – قوة العبادة والصلاة:

إنها بصيرة مذهلة في حياة الكنيسة الأولى، أن نرى فريق القيادة في أنطاكية يجتمعون معاً للصوم والعبادة والصلاة (أع ١٣ : ١-٣). وفي ذلك الوقت أعلن الروح القدس لهم أن يفرزوا له برنابا وبولس للعمل والتبشير المرسلي. وهذا يشير إلى أنهم لم يتبعوا شكلاً ثابتاً من العبادة، محكوم بليتورجية طقسية محددة مسبقاً، بلا فرصة للروح القدس للحديث إليهم. فقد أمكنهم الاستماع إلى الرب واستجابته لتضرعاتهم.

لو أصبحت كنيسة الرب يسوع المسيح حسب كل ما قُدر لها أن تكون، فلابد أن نشجع عمل المواهب الروحية، فهي تخلق توقعاً ورجاءً في قلوب المؤمنين أن الله سيستجيب لهم وسيجاوبهم، بصفة خاصة، عن كل استفساراتهم واحتياجاتهم.

لابد للكنيسة في المدينة أن تكون كنيسة متعبدة مصلية،

فاحتفال العبادة شهادة حيوية للعالم، كما إنه يمكّن المؤمنين من الانتعاش روحياً في حضرة الرب.

الفرح عنصر حيوي في حياة الكنيسة في المدينة. وإخماد هذا الفرح من خلال قيادة مثقلة، وأنماط عبادة ثابتة، لا يشجع نمو الكنيسة في المدن، بل ويعوق نضج أبناء الله.

٦ - *قوة الرؤية التبشيرية المرسلية:*

من الواضح أن الكنيسة في أنطاكية اهتمت جداً بالآخرين. ونرى ذلك في انشغالها بالفقراء (أع ١١: ٢٩)، واستعدادها لإرسال القادة في مساعٍ تبشيرية.

إن اختبار التزام أية كنيسة بالإرساليات هو استعدادها لإرسال أفضل من لديها للمساعدة في العمل التبشيري الكرازي. وتتثقل الكثير من الكنائس في المدن باحتياجات من حلّوا بها فتجد الرؤية الأشمل الأوسع. أما الكنيسة المتقوقعة والمنعزلة فتفرغ أصحاب القلوب الكبيرة من طاقة الخدمة المسيحية للغير. وسرعان ما يعلمون أن هناك روحاً قابضة ماسكة بين القادة وليست روحاً كريمة. وسيكتشفون أن قيادة الكنيسة ليست تعهداً ببناء مواهبهم وإرسالهم بل بالحري حفظهم هناك لبناء برنامج الكنيسة المحلية.

وأعرف أحد الرعاة يؤمن بأن عليه أن يفرغ الناس العاديين من كل اهتمام بالإرساليات في الكنيسة، وفلسفته في ذلك هي لو أن الله أراد لهم الذهاب لتغلبوا على المصاعب وأدوا هذا الأمر بطريقة ما. وقد تكاسل الكثيرون في كنيسته عن اتباع المسيح في الخدمة المسيحية، وذلك بسبب افتقارهم إلى التشبه بالمسيح وكرم السلوك. ومع أن الله قد بارك تلك الكنيسة، إلا أنني كثيراً ما تساءلت كم من بركة إضافية كانت ستنالها، لو كان لدى الراعي تشبه بالمسيح، في اشتياق بعض رعاياه في الوصول للآخرين؟.

إن الراعي وفريق الخدمة الذي معه الذين يعضدون أبناء الله للخدمة، سيحصدون مكافأة المخدومين، ممتدين إلى الكنيسة في العالم كله.

٧ - قوة التشبه بالمسيح:

في أنطاكية دُعي المؤمنون أولاً مسيحيين. وكان هناك في حياتهم شيء ما يضمن التجاوب من المجتمع غير المسيحي. وفي مركز العبادة الوثنية والمنافسة التجارية، كان للمسيحيين تأثير على تلك المدينة، مما دفع الآخرين للاعتراف بهم.

إن قوة شهادة كنيسة أنطاكية تشجيع لنا، فيمكننا أن نترك انطباعاً جيداً لدى مدن عالمنا الحالي. ولكي يكون لنا هذا التأثير يجب أن نتبع ربنا يسوع.

بولس وفيلبي

من الصعب اختيار مدينة واحدة تمثل مساهمة الرسول بولس المذهلة في اتساع الكنيسة في القرن الأول الميلادي. كان بولس رسولاً من أبناء المدن. وقد أحست بتأثير خدمة هذا الرجل العظيم، مدن كثيرة؛ مثل أثينا وروما وكورنثوس وأورشليم وأنطاكية وأفسس وغيرها. ولكن أهمية مدينة واحدة منها تفوقها جميعاً، وذلك لأنها أول مدينة تقبل الإنجيل في كل أوربا. والروح القدس منع بولس ومن معه من الذهاب إلى آسيا، ومع هذا أعطاهم رؤيا ملزمة بضرورة التبشير بالإنجيل في مقدونية. وتقع مدينة فيلبي العتيقة على بعد نحو ستة عشر كيلومتراً من ميناء نيابوليس. وقد سُميت على اسم فيليب الثاني المقدوني ذي العين الواحدة، ووالد الإسكندر الأكبر. وفي عام ٣٣٤ ق. م. غزا الإسكندر الأكبر آسيا، منطلقاً من فيلبي كواحدة من أكبر قواعد أوربا. والآن في مقابلة صارخة، استخدم

بولس آسيا ليغزو أوربا بالإنجيل. ويضم فريق بولس التبشيري الصغير كلا من سيلاس (المدعو أحياناً سلوانس)، وتيموثاوس (الذي لحقه في لستره والذي كثيراً ما دعاه بولس ابنه الحبيب)، ولوقا (الطبيب الأممي الذي رافق بولس في ترواس).

وإذ أراد الله أن ينتشر الإنجيل في أوربا جذب انتباه بولس برؤيا خطيرة. في إحدى الليالي أثناء وجوده في مدينة ترواس. وفيما يمكن أن ندعوه اليوم اختباراً كاريزماتياً، دفع الله الحي ببولس إلى هناك، والذي بدأ بلا شك - يتأمل بعمق في مضمون عبوره إلى قارة أوربا.

وقد أبحر بولس إلى نيابوليس، ومن هناك قطع الستة عشر كيلومتراً سيراً على الأقدام إلى المدينة العظيمة فيلبي. وفي خلال تلك الرحلة كان يفكر، بلا شك، في تاريخ هذه المدينة العظيمة. ففيها اصطدم بروتس Brutus وكاسيوس - قاتلا يوليوس قيصر - بجيوش أنطونيوس وأوكتافيوس. ولأن بولس مواطن روماني من مدينة طرسوس، كان لديه سبب وجيه لتذكر أهمية تلك المعركة العظيمة. وبعد اغتيال يوليوس قيصر، هرب كاسيوس مع نسيبه بروتوس من روما. وانتهى المطاف بكاسيوس في مدينة طرسوس وأمر جنوده بالإقامة في منازل أغنيائها، معلناً ببرود

أنه لن يغادر المدينة إلا إذا دفعوا له ما قيمته تسعة ملايين دولار. ولمواجهة هذا المبلغ الرهيب تمت مصادرة الأراضي العامة، وصهرت أواني المعابد الذهبية والفضية، وبيع الأحرار عبيداً. وأول من تعرض للبيع كعبيد هم الأولاد، ثم البنات، ثم الرجال والنساء، وأخيراً الكهول وكبار السن. وفضّل الكثيرون الانتحار على الخضوع للعبودية. وبرغم حدوث هذا الأمر قبل زمان بولس بنحو مائتي عام، إلا أن كل مواطن من طرسوس كان يعرف هذه الأمور البشعة التي قام بها كاسيوس.

ولذلك عندما دخل بولس الطرسوسي مدينة فيلبي، لابد أنه تساءل كيف سيقوده الله لغزو هذه المدينة. وكان أسلوب بولس المعتاد هو أن يذهب إلى مجمع المدينة (السنهدريم) للتبشير. وإذ لم يجد أي مجمع في مدينة فيلبي، اضطر بولس إلى اتخاذ أساليب خلاّقة وحديثة. فقد سمع أن هناك موضعاً بجانب النهر للصلاة، تجتمع فيه النسوة كل سبت للعبادة. ومن العجيب أن بولس لم يتردد في المناداة بالإنجيل لجماعة من النساء فقط. والأعجب أن أول كنيسة تقام في قارة أوربا أقامتها نساء مؤمنات، وقادتها أولاً امرأة هي ليدية، وقد أجبرت ليديه الرسول بولس ومن معه على قبول ضيافتها لهم

(أع ١٦ : ١٥). وفي بيت ليديه كانت كنيسة فيلبي تجتمع للعبادة والصلاة.

ولا تكتسب هذه المدينة أهمية فقط لكونها مثالاً لانفتاح عقلية بولس – المتنازع حوله – نحو النساء عامة، والمرأة في القيادة خاصة، ولكن تمثل أيضاً قوة الكنيسة برؤيتها التبشيرية. وإذ يكتب بولس إلى كنيسة فيلبي بعد ذلك بعشرة أعوام (٦٠ م) يشكر بولس أهل فيلبي لمشاركتهم له في خدمته "من أول يوم إلى الآن" (في ١: ٥،٤ ؛ ٤: ١٥،١٦).

يؤكد د. بيل لين Dr. Bill Lene على الحاجة إلى تقدير مدى مشاركة أهل فيلبي لبولس. ويشير إلى أن خدمتهم التبشيرية امتدت ببولس، وكذلك كرازتهم في تسالونيكي، والتي بدورها نشرت الإنجيل في كل آسيا. كما ساندوا بولس وصلوا لأجله وهو في كورنثوس. وقد مكّنه هذا من تكريس كل اهتمامه لخدمة التبشير بالإنجيل وهو في تلك المدينة.

وعندما حلت باليهودية مجاعة، وضع الله ثقلاً على قلب بولس أن يقدم هدية إلى المسيحيين في أورشليم. وتكلم بولس عن مشاركة أهل فيلبي في خدمة الرحمة (٢كو ٨: ١–٥).

كما شكر بولس أهل فيلبي على مشاركته في مدينة روما (في ٢: ٢٥ ؛ ٤: ١٨). وتعتبر الرسالة إلى أهل فيلبي بمثابة رسالة شكر على ما قدموه له من هدية، وهو تحت الحجز، في أحد المنازل في مدينة روما. فبالإضافة إلى المساندة المادية، أرسلوا إليه من الكنيسة عضواً موهوباً هو أبفرودتس، ليعمل مع بولس في خدمة المؤمنين في روما عاصمة الإمبراطورية.

عندما تتأمل كنيسة واحدة تؤثر في مثل هذا العدد من المدن؛ مثل تسالونيكي وكورنثوس وأورشليم وروما، فلابد أن تبدأ في استيعاب عمق رؤية هذه الكنيسة. فهي تقدم أمثلة لكنائس اليوم، في التزامها بالإرساليات التبشيرية، وفي استعدادها لتبني عمل الكرازة ليس فقط من داخل كنيستها، بل وفي عرض وامتداد رؤيتها. ولم تكن فيلبي جماعة أنانية ذات مفهوم محدود عن الملكوت. بل كانوا مستعدين للوقوف مع بولس في كل أمر. فأرسلوا له الأموال، كما أوفدوا أفضل رجالهم، فشاركوه في التنمية والمعونة، وفي إنشاء الكنائس، والتبشير بالإنجيل، والتعليم، والتدريب.

ويكشف د. لين أنه بعد خمسة وسبعين عاماً من كتابة بولس رسالته إلى أهل فيلبي، كتب بوليكاربوس، أسقف وكبير

رعاة مدينة سميرنا - هذه الكلمات إلى أهل فيلبي: "لقد فرحت معكم فرحاً عظيماً في ربنا يسوع المسيح ... لأن جذور إيمانكم القوي الممدوحة في القديم، مازالت مستمرة حتى الآن، وتعطي ثمراً لربنا يسوع المسيح" (رسالة بوليكاربوس الأولى إلى أهل فيلبي).

يقدم هؤلاء الرجال الأربعة، وهذه المدن الأربع، أمثلة متنوعة للكنيسة اليوم في وجودها داخل مدن العالم. فالكنيسة التي في المدينة مدعوة لعمل مركّب. وبرغم بساطة الرسالة، والأساليب التي نستخدمها لابد أن نتفهم التعقيدات التي حولنا. فإن تقدير دور النبي أساسي بالنسبة للمدعوين للمناداة بالإنجيل. أما بالنسبة للعاملين بجدة وصمت، خلف الكواليس، في تنمية المجتمع، فمن الحيوي والأساسي التعاون مع قادة الكنيسة والمبشرين.

فلابد لكنيسة ربنا يسوع المسيح أن تقيم مدخلاً سليماً متكاملاً إلى عالم المدينة المعقد، الذي نحيا فيه. وبهذا نستحث رسالة الإنجيل ونزيد من تأثيرها على حياة الآخرين في المدينة.

الفصل الثامن

البحث عن بدو المدن أو البدو المتحضرين

البدوي هو شخص صلب العود خشن القدمين من كثرة المشي، يرمي بحبل على كتفه وفي يده عصا يتكئ عليها لمواصلة مسيرته، وقد عبأ ممتلكاته البسيطة في كيس ووضعه على ظهر حمار، ويتطلع بعينيه إلى الأفق حيث يصل إلى داره في الغد.

إنه الراعي الريفي الذي تعرفونه في الحال، وهو يدفع أمامه ماشيته إلى مراعٍ خضرٍ. وهو رجل فقير بلا أصول، لكنه في عيون بعض الغربيين صورة رومانسية هادئة، وجزء من تاريخٍ بائدٍ، وتقليدٍ ضائع لقرون عديدة مضت.

وإذ تميزت السنوات الأخيرة بنمو متفجر لسكان مدن العالم، رأينا بروز أبناء عم لهذا الراعي الريفي، وذلك في المدن الكبرى، وقد قمنا بخدمتهم - أنا وكثيرون غيري - فهم الرعاة الحضريون أو بدو المدن. ولكن مع ازدحام الشوارع التي حلت محل الساحات الشاسعة، لم يعد سهلاً تحديد مواقع البدو

الحضريين.

فقد يكون البدوي الحضري أحد المرتدين الملابس الرياضية. أو قد يكون في حلة فاخرة يحمل حقيبة أنيقة، ولعله يرتدي "الجينز" وفي يده أو جيبه المخدرات، أو قد يكون بعمامة، أو يتسوق من المتاجر الكبرى. وربما يكون طالباً أو عاملاً أو موظفاً مرموقاً أو فناناً أو موسيقياً. أو لعله من مدمني المخدرات، أو من الساقطين المنحرفين، أو المجرمين، أو مختلي العقل، والمتشردين. بل ربما يكون سائحاً.

فكل واحد من تلك الأمثلة وغيرها، يتجه نحو المدينة سعياً نحو عمل جديد، هارباً من مشاكل قديمة، يمكث بضعة شهور، أو ربما سنة ثم يبدأ بعدها في الترحال.

ولعل الواحد منهم يسعى للابتعاد عن طائلة القانون، أو لعله يريد ألا يسبقه أحد في سباق الحصول على المال.

وقد يستقر الواحد منهم لفترة أطول، لكنك لن تتعرف عليه وهو يعيش بجوارك في الشارع نفسه، يتشارك مع أقاربه القلقين غير المستقرين، نفس السمات الرئيسية التي تجعلهم بدواً حضريين.

وقد يحيا الواحد منهم أيضاً في المدينة ويعمل، لكن "موطنه" الحقيقي في موضع آخر. وهو بهذه الأحوال، يفشل في غرس أي جذور فعلية له، ولا يتفق مطلقاً مع المجتمع الكبير من حوله، أو مع الجماعة الصغيرة التي حوله، ويتعامل معها. وهذا ما يجعله أحياناً غير مرئي لمعظم المسيحيين، بل وغالباً ما لا يقدر الباقون على الوصول إليه.

إلا أن البدو الحضريين موجودون. فهناك آلاف المشردين في كل أنحاء الولايات المتحدة يتنقلون من مدينة إلى أخرى. وكذلك عمال المناجم في منطقة سويتو Soweto مثلاً – يتركون بيوتهم ليجدوا العمل الذي يسند أسرهم وعائلاتهم. وأيضاً ما يزيد على ستة ملايين طفل في شوارع البرازيل، بلا أب أو أم، وبلا مأوى يحتضنهم.

وهناك أهل منطقة بيهاري Bhojpuri Bihari في كلكتا بالهند، الذين اضطروا إلى النزوح من مزارعهم؛ بسبب الجفاف، والمجاعة، وتلف المحاصيل. وهم الآن يعملون كسائقي سيارات أجرة، أو يعملون في جر العربات الكارو (ريكشو – عربة يجرها الإنسان في الهند بدلاً من الحيوان)، وفي الأعمال الحقيرة الأخرى. وغالباً ما يعيشون في الخلاء بقرب

محطات القطار أو في أكواخ صغيرة حقيرة.

وينحدر أهل التبت - من جبالهم كل شتاء إلى نيودلهي وكاتامندو Katamandhu، حيث يتعيشون من بيع الملابس المصنوعة يدوياً، وذلك قبل عودتهم إلى موطنهم في شهور الصيف التالي. وحسب كلام مرسلين مبشرين أعرفهم، ممن يعملون في هذه المناطق، فإنهم في وسط أصعب جماعات يمكن الوصول إليها، فلم يلمسهم الإنجيل بعد. ومثل كثيرين غيرهم من البدو الحضريين، فإنهم يكتفون بخلاصة المكسب في المدينة.

إن تقديم الرب يسوع إلى البدو الحضريين في العالم، من أهم التحديات التي تواجه الكنيسة في العمل المركب المربك في نشر الإنجيل في المدن.

وخلال رحلاتي وأحاديثي مع العاملين في المدن في كل قارة، توصلت إلى أنه مع كل الفروق الخارجية، هناك نمطان يتميزان فعلياً من البدو الحضريين.

فهناك قوة طرد إلى المدينة، وهناك قوة جذب نحو المدينة، وبصفة عامة فإن الكثيرين ممن يُدفعون إلى المدينة، هم في مدن العالم الثالث. فهم يتجهون للمدن، لأن هناك قوة طرد خارجية

تجبرهم على مغادرة بيوتهم، ومواطنهم الريفية، كالجفاف، والمجاعة، والبطالة، والصراعات القبلية. وهذه القوى تعمل كعلامة تشير إلى أقرب مدينة.

وقد يتحرك هؤلاء كعائلات، ليقيموا في أكواخ، وحجرات، في المناطق العشوائية المحيطة بأطراف عدد كبير من المدن، ولكنهم يظلون متّصلين قلبياً، بالأرض والناس الذين خلفوهم وراءهم. وكثيراً ما يصلون فرادى - الزوج أو الأب - سعياً للعمل، لتوفير المال الذي يرسلونه إلى الأهل. وقد ينزح أيضاً أكبر الأبناء، لاكتساب مال كافٍ، لمساعدة بقية الأسرة.

وربما يتمكنون، مرة أو مرتين في السنة، من العودة إلى مواطنهم لزيارة الأحباء والأهل. أما بقية السنة، فينشغلون بالعمل - لساعات طويلة - عن التفكير في الاستيطان وإقامة بيوت لهم، حتى لو فكروا في ذلك.

وهناك أيضاً - في الدول الغربية - من تجذبهم المدن - عادة وليس بصفة مطلقة - فيقيمون فيها؛ ليس بسبب ما يتركونه خلفهم، بل بسبب ما يمكن أن يجدوه هناك.

ومن بين قوى الجذب إلى المدينة، نجد التعليم والوظيفة

الناجحة، وسهولة المكسب، ووفرة العمل، والصداقة السريعة، والمخدرات، والجنس، والمظهر، وخلافه. وغالباً ما يصل النازحون فرادي، تاركين خلفهم أصدقاءهم وعائلاتهم.

ويُقدر عدد النازحين كل عام بنحو ٢٠٪ (عشرين بالمائة) من عدد سكان كل المدن. والانهيار الناتج عن ذلك في العلاقات والروابط الأسرية الممتدة، والمشاكل التي تحدث في الأسرة كلها، موثقة وواضحة تماماً.

وبالطبع ليس كل هؤلاء البدو الحضريين جزءاً مما يمكن تسميته المجرى الرئيسي للحياة. فبعضهم يعيشون على هامش المجتمع. وهم إما يسقطهم المجتمع، أو يسقطون من ذواتهم، أو يلفظهم المجتمع. وقد يصبحون متمردين، أو مجرمين، أو ضحايا للجريمة، والإدمان، أو يصيبهم المرض العقلي.

. لكن غالبية هؤلاء البدو الحضريين - على النمط الغربي - لا يمكن أن ينتظموا في بنك أو متجر أو سينما.

والوصول إلى هؤلاء البدو لتقديم الإنجيل لهم، ليس بالعمل الهيّن اليسير. ولكن من الضروري أن نسعى إلى ذلك لسببين؛ أولهما: هو أنهم - كما من الواضح - يكونون جزءاً من كل

عالم مهمة يسوع العظمى. فلهم الحق والاحتياج لسماع الإنجيل – كأي إنسان آخر. والسبب الثاني: هو أنهم يمكن أن يكونوا الباب لأجزاء من العالم، أبعد من إمكانية الوصول إليها. وقد يكون للحروب والمجاعات أسباب مختلفة، ولكن الله يستخدمها وغيرها من الأوضاع، لجذب الناس للمدن.

ولم يعد ضرورياً الذهاب إلى شمال إفريقيا للوصول إلى الجزائريين، مثلاً، إذ أن نحو أربعة عشر بالمائة (١٤٪) من الجزائريين يعيشون – اليوم في باريس. وهو وضع متكرر بين جماعات كثيرة، مختلفة اللغة والحضارة.

ولذلك فبوصولنا إلى البدو المتحضرين، الذين في مدننا، نكون قد زرعنا بذاراً يحملونها معهم، إلى بلادهم ومواطنهم البعيدة وعائلاتهم وأصدقائهم في بلادهم الأصلية. وفي حين أن هناك انحداراً إلى سمات البدو الحضريين فهناك قوة عظيمة كامنة. وهم معتادون في أحوال كثيرة على العيش ببساطة. فإما يناضلون لجمع النقيضين، أو يدعمون العائلات الممتدة في موضع آخر، وهكذا فهم ليسوا منشغلين بالاستقرار والراحة حيثما يتجهون.

إن أسلوب الحياة المؤقت لديهم، معناه أنهم الأقرب

استعداداً لاتباع الرب يسوع، حيثما يقودهم، حاملين الإنجيل معهم، ربما عبر حدود اللغة والدولة والحضارة.

كما أنهم ليسوا مرتبطين بعلاقات مادية دائمة، مما لا يعوقهم عن الترحال، لو طلب الرب ذلك منهم. وبالحقيقة، فإن في أعماقهم هناك جوهر الترحال، وعدم الاستقرار في مكان، أو الحقيقة الكتابية إن الدنيا ليست منزلاً لنا بل نحن عابرون فقط.

وهناك واحدة من الصعوبات في الوصول إليهم. فإن نمط حياتهم يميل إلى مقاومة حس الجماعة، والالتزام، الذي هو قلب الإنجيل. وقد أدركت أن هذا – غالباً – بسبب النبذ الذي لاقوه في خبراتهم السابقة. فالمدمنون والساقطات قد أخطأوا، ولكنهم – غالباً – قد أخطأ الناس في حقهم أيضاً.

ولذلك فلن نصل – حسب ظني – إلى البدو الحضريين بالطرق على أبوابهم، وترتيب حشود تبشيرية ضخمة. ولن تنجح معهم سياسات الكرازة في المدينة بل يلزم أن نبدأ بقليل من التفكير. فلابد أن نتعرف إلى أحد تدفقات البدو، ونرتب كيفية الاتصال بهم.

قد يكون المفتاح هو طلبة أو أعضاء جماعة عرقية، من الجيل الثاني أو الثالث في المدينة، ولكنهم لا زالوا بدواً حضريين. بسبب أن حضارتهم كلها وهويتهم تبقيهم متأصلين في مكان آخر. فهم يستيقظون في المجتمع الذي يعيشون فيه وينامون في جزء آخر من العالم.

من أين نبدأ؟ بالسعي نحو التعرف إلى هذه المجموعات جغرافياً أو اجتماعياً. وقد يتطلب الأمر تغيير أنماط الحياة لنتلامس معهم.

فإن وصلت إليهم يلزم التعاطف والالتزام نحوهم. التعاطف الذي يبتغي التوحد مع آلامهم واحتياجاتهم، بدلاً من إلقاء دعوة الإنجيل في عجلة. التعاطف الذي يصغي ويتفهم الأسئلة والاستفسارات قبل أن يلقي إجابة سريعة.

بعد هذا قرر البقاء معهم مقدماً الوقت الكافي لبناء الثقة والقبول، مما يؤدي إلى تكوين العلاقات، وبعد ذلك معايشة حب الله الفادي، كجزء من شهادة الحياة التامة. ادعهم إلى زيارتك في بيتك، لتصبح صديقاً لهم.

وبالنسبة للناس في مدينة بيهاري في كلكتا – على سبيل

المثال، قد يكون المدخل هو مساعدتهم في إعالة عائلاتهم. ولا يتطلب الأمر مبلغاً كبيراً. فربما أمكن للكنيسة شراء بضع عربات (ريكشو) وترخيصها وتأجيرها. ويمكن للعامل على عربة (الريكشو) أن يدفع كل يوم جزءاً يسيراً من عائد أرباحه، إلى أن يتم تسديد كل القرض في فترة زمنية معينة، فيمتلك هو عربة (الريكشو).

ولعل هذه الخطة تجعل الإنجيل معاشاً بلغة عملية، بل وتقيم سمعة من الثقة مع أهل البلدة بيلهاري، كعنصر مهم في المدينة، حيث لا تحظى المسيحية هناك بتعاطف كبير.

وكما يتضح من هذه الخطة الصغيرة للكنيسة، فليست الخدمة المسيحية المتفرغة هي فقط التي تقدر على مواجهة الموضوع. فهذه دعوة إلى كل الكنيسة. ولعل أفضل تجاوب لها يأتي من الكنيسة المحلية. ومعنى هذا اتخاذ نظرة جديدة نحو المدن، ومحاولة استيعابها من منظور إلهي. وبعد خمسة عشر عاماً من معاونة خدمات المدن الرائدة فإنني مقتنع بأن المدينة ليست هي مدنية بل عملية أو منوال، حيث تختلط وتمتزج فيها كل الحضارات والقمم، لينتج مذاق واحد. تماماً كما تختلط الخضروات في طبق السلاطة عشوائياً، ليتكون منها نوع واحد

من الطعام. وأعتقد أن إدارة الظهور للمدينة، هو ابتعاد عن مقاصد الله الأبوية للخلاص والعدالة، لكل خليقته.

فعندما نصل إلى البدو الحضريين بالأخبار السارة لملكوت ربنا يسوع المسيح، فهذا قد يدفع أي إنسان يحيا بالصدفة – حياة مؤقتة في المدينة – لينضم إلى الإنجيل، ليس بسبب رؤيته للتغيير الحادث في حياة البدو وفهمهم – وحسب – بل أيضاً التغيير الحادث في حياتنا نحن أيضاً.

الفصل التاسع

سياسة البلوغ إلى المدن

من المهم لنا أن نتساءل: كيف ينبغي لكنيسة معينة مهتمة أو شخص مسئول أن يجد المدخل للمدينة، برغم أن كلمة استراتيجية تبدو غير ذاتية وغير مبالية. وأي استراتيجية أو وسيلة نتخذها لنغطي أعظم تأثير للمسيح على الناس؟ إن المدينة كبيرة، وتضم أصنافاً عديدة من الناس، لهم احتياجات عديدة ... فمن أين نبدأ؟ طالما أن هناك مسيحيين مهتمين فلابد أن يوجد – بلا شك – عدة مداخل للتبشير في المدينة. وهذا مفيد – بصفة خاصة – لو كانت طاقة المؤمنين وجهدهم يوجهها رؤية كتابية.

فالكتاب المقدس لا يفيدنا بمدخل معين في أسلوب الكرازة والخدمة، بل تكشف الأسفار مداخل متنوعة، وخدمات متباينة استخدمها الله لجذب المدن. ولكن هناك عناصر معينة مشتركة، في إرساليات التبشير الكتابي للمدن التي ينبغي معرفتها من جهة الأشخاص، أو فرق الخدمة أو الأسرة، أو الكنيسة أملاً في

خدمة المسيح بكفاءة. وبالإضافة، هناك إطار موّحد يصبح كل المؤمنين في المدينة جزءاً منه. وفي هذا الفصل من الكتاب، سندرس معاً أربع مراحل لإرسالية المدينة، تشكّل هذا الإطار، وبعض العناصر الأساسية لكل مرحلة.

ولابد ملاحظة أنني لا أقترح صيغاً تضمن النجاح، مهما كان تعريفه. فكل المسيحيين في المدينة، هم أعضاء في كل الكنيسة في كل المدينة، بغض النظر عن المنظور اللاهوتي، أو الإنجاز التعليمي، أو مستوى النضج. إن الوعي بمقاصد الله نحو كنيسته في المدينة يزيد من تقديرنا للآخرين – أي وحدتنا، ومن إدراكنا لله – أي إيماننا.

هناك سلوك تجاه الخدمة والإقامة في المدينة يمكن أن نطلق عليه استراتيجية الدخول إلى إرسالية المدينة، وهي في طبيعتها تشبه الإعداد للتبشير. وقد لمسنا بعضها بالفعل، مثل الحب الأصيل للناس، الإيمان بالله، دعم الاحتياجات العظمى، والتضحية، والبذل.

وهناك جانب آخر يلزم ذكره هنا هو القابلية للتعلم. فلو دخلنا المدينة لنتعلم – وليس كمبشرين أو كعاملين في الحقل الاجتماعي، أو كأسر في إرسالية الله، أو ككنائس نعتني

ونرعى، أو كأي صورة أخرى نحلم بها سبباً للتواجد في المدينة – فلابد أن قابليتنا للتعلم هذه ستحمينا من ارتكاب ملايين الأخطاء، ومن ثم سنكون أكثر شبهاً بالمسيح.

إن الحياة في المدينة عملية تعلّم مستمرة، فنتعلم عن الحضارة، والحياة، والناس، والألم، وعن أنفسنا، وعن الفشل. فإن تعلمنا كل هذه الدروس، فلابد أن نتعلم أن نكون استجابة الله للآخرين.

فلندرس بولس الرسول كنمط لاستراتيجية المدن. منذ كانت حياته – أكثر من أي شيء آخر – عرضاً لمدخل متكامل للتبشير في المدينة. فليس معنى هذا التقليل من حياة الرب يسوع المسيح. لأن بولس قد كلّفه الرب يسوع بطريقة فريدة لزيادة وجود الكنيسة في مدن ذلك الزمان.

توبة الخطاة

يشير "روجر جرينواي Roger Greenway" في كتابه النافع: "رسل إلى المدينة Apostles to the City" إلى أن استراتيجية بولس الرسول في المدن كانت ذات نمط محدد. فيقول روجر: "تسير خطوط استراتيجية بولس في تبشير المدن،

من الذين قبلوا الإيمان إلى الكنائس إلى المجتمع الروماني كله، بإدارته وحكوماته وأنظمته وعباداته. لقد تحرك بولس في مدن العالم الروماني آنذاك، باستراتيجية معينة في ذهنه".

لقد استهدف بولس المدن - بوعي - مركزاً على المراكز الحضرية الكبرى في أيامه. فقد كانت فيلبي مركزاً إدارياً كبيراً على طريق هامٍ للتجارة. أما تسالونيكي فكانت ميناءً استراتيجياً للبحرية الرومانية واقعاً على طريق التجارة. وكانت كورنثوس عاصمة لمقاطعة أخائية، وميناءً ومركزاً مالياً وداراً للألعاب. هكذا تمضي قائمة المدن: أثينا وروما وأفسس وأورشليم.

في هذه المدن آمن بولس بأن الله لمن يقبله. وبصرف النظر عن الشئون الروحية، أو الاجتماعية، أو السياسية للمدينة، بشّر بالإنجيل. وقد بنى استراتيجيته على صخرة الإيمان الشخصي. فوقف في مواجهة الإمبراطورية الرومانية والفلسفة الهيليستينية. موضحاً أن يسوع هو المسيح، والمسيا المنتظر، ومُخلّص كل البشرية.

إن لب الاستراتيجية الأصيلة للتبشير في المدينة هو إحضار الناس إلى المسيح، وهذا هو محك كل عملنا في المدينة.

وسواء انشغلنا بالفقراء أو الأغنياء، أو بالأقوياء أو الضعفاء، فلابد أن يكون الدافع لوجودنا في المدينة هو الرغبة في رؤية الناس يتنازلون عن أسباب رفض المسيح ليقبلوه رباً ومخلصاً لهم.

لسنا نتكلم عن الإيمانية السهلة، فالمدينة لا يلزمها إنجيل سطحي خفيف يعد بكل شيء مقابل لا شيء. فالخطاة عصاة، ومهما كان مركز الإنسان اجتماعياً فإن كل إنسان قد أكّد شخصياً على معصية آدم لله، ويحتاج مواجهة دعوى المسيح ربوبيته وسيادته على حياة الإنسان. فيجب أن يتخلى الغني عن ثروته، وأن يتخلى الفقير عن مرارته. فكل إنسان سيقف أمام الله ليعطي حساباً عن حياته.

رعاية الفقير

إن السؤال المحير: هل نبشر بالإنجيل، أم نرعى الفقير، ليس سؤالاً كتابياً. فليس هناك ازدواجية في الأسفار المقدسة بين الرعاية والتبشير، فينبغي أن نفعل كلا الأمرين؛ لأن الإنسان مخلوق على صورة الله جسماً وروحاً.

فلابد ألا ينشر المبشرون الإنجيل بين الفقراء، ما لم يكن

هنـاك مـن يتـابع ويقـدم تعبـيراً عملياً عـن محبـة المسـيح. فعليـهم مسئولية التوحـد مـع مجتمـع المؤمنـين لكـي يـروا الكـرازة كجـزء مـن اهتمـام المسـيح باحتياجاتـهم واهتماماتـهم.

أمـا المـهتمون بـالفقراء فلابـد ألا يفعلـوا هـذا بـدون توضيـح أن اهتمامـهم ورعايتـهم مقدمـة باسـم المسـيح. فـلا يمكـن للـهيئات المسـيحية أن تقبـل عـروض الحكومـة للخدمـة في الدولـة بـدون حرية القيام بـهذا باسـم يسـوع المسـيح.

لقـد أبـدى بولـس الرسـول اهتمامـه بـالفقراء إلى حـد رجوعـه عـن رغبتـه في الذهـاب إلى أسـبانيا "قـد أكملـت التبشـير بـإنجيل المسيح، ولكـن كنـت محترصـاً أن أبشـر هكـذا، ليـس حيـث سُـمي المسيح" (رو ١٥ : ١٩، ٢٠). بـل بـالعكس، واصـل بولـس التزامـه بمـن يعـانون مـن المجاعـة في أورشـليم، برغـم التحذيـرات المتكـررة بأنه سـيطرح في السـجن لـو رجـع إلى المدينـة.

إنشاء الكنائس بين البعيدين

إيجـاد الكنـائس اسـتراتيجية ضروريـة للمـدن. فلـم يكـن بولـس قانعاً بجذب الأفـراد للمسـيح، بـل كـان مـهتماً بربـح الخـراف وبنـاء القطيـع. فجمـع المؤمنـين، معـاً حيثمـا كـرز، فكـان تنظيـم الكنـائس

أساسياً في مدخله الكلي للمدينة.

كان بولس – كرسول وكرائد في الإيمان – موكلاً بمهمة إقامة الكنائس. وقد بنى حماسه للقيام بهذا الأمر على رؤياه عن أهمية جسد المسيح. وهنا يوضح "روجر جرينواي" الأمر بقوله :

"بالرؤيا توصل بولس إلى استيعاب أن الكنيسة هي المجتمع المسياني الذي طال انتظاره، والذي يحمل الإنجيل إلى كل الأجناس والأمم. وبالكنيسة يتمم الله مقاصده لفداء العالم كله ".

وقد جعلت البصيرة من بولس مؤسساً للكنائس. فكان يؤمن بأن الله بالمسيح يتمم من خلال الكنيسة عمل الفداء، الذي طال انتظاره في العالم.

ويلزمنا نفس الرؤيا كبولس. فليست الكنيسة مجتمع عهد أبناء الله على الأرض وحسب، بل هي أيضاً السبيل الوحيد الذي به تجد جموع المدينة الفقراء والمساكين والمصدومين شفاءً لحياتهم المنكسرة. فالأمل أمامهم من خلال جماعات العناية، والعبادة والفرح. فالكنيسة واحدة من أهم وأول طرق الله لصب الحب والرجاء لأبنائه .

ربوبية المسيح وسيادته على المجتمع

بكرازة بولس وتعليمه، زرع الإيمان الذي سيقود الكنيسة في النهاية إلى إعلان سيادة المسيح على كل جانب من جوانب المجتمع. وقد لمست رؤيته للملكوت كل أبعاد الحياة، فتحدث عن دور الحكومة (رو ١٣)، وعن علاقة العبيد بسادتهم (فل ؛ أف ٥)، وعن طبيعة دور الأسرة ووظيفتها (أف ٥)، وعن مسئوليات الكنيسة تجاه المساكين والفقراء (١تي ٦). وهناك اتساع منعش مدهش في تعليم بولس، تفتقده الكنيسة اليوم غالباً. ومع كونه مؤسساً للكنائس ومبشراً إلاّ أن نظرته الشاملة لربوبية وسيادة المسيح، أبعد مما يدركه الكثيرون.

وإذ لابد من مواجهة صريحة مع نظم العبودية، فهذا لا يعني أنه لم يقل بضرورة إزالتها. ولأنه لم يكتب إحدى رسائله خصيصاً عن الظلم، فلا يعني هذا أنه يسكت عن الموضوعات الاقتصادية والسياسية في أيامه (١تي ٦: ٢ ؛ ٢تس٣: ٦-١٢؛ تي ٣: ١).

وقد غرس بولس في المؤمنين محبة الضال، بل وعلمهم وشجعهم على تحمل مسئوليتهم، كأعضاء مشاركين في المدينة،

أو الدولة التي يعيشون فيها. كما تحدّى الأوثان في تلك الأيام. وأدت الثورات التي حدثت في أفسس - بسبب كرازة بولس ونبواته - بالكنائس إلى إدراك الكنائس أن الموضوعات السياسية، والاقتصادية هي من صميم اهتماماتها. فإن فشلت الكنائس وإرساليات التبشير، في إدراك أن الرب يسوع المسيح يريد أن تنتشر ربوبيته وسيادته على كل الحياة، فلن يقدروا أن يتلمذوا قادة المستقبل في المدن التي يحملون إليها الإنجيل. فمن الطبيعي للمبشر أن يريد لكل المؤمنين على يديه أن يكونوا مبشرين أيضاً. لكن بعضهم مدعوون ليصيروا رجال بنوك، محامين، موظفين، ورجال إذاعة وغيرها.

كانت الكنائس التي أسسها بولس خميرة للمجتمع، فهي نماذج للبر. وقد أدرك بولس أن الذين ربحهم للمسيح - رجالاً ونساءً - يشكلون جماعات يرسلها إلى العالم ملحاً ونوراً. وقد صار بعضهم مرسلين وكارزين للبعيدين. وصار غيرهم وكلاءً لله في التجارة والحروب. وإذ قد تعلموا طرق الله، صاروا واعين للموضوعات التي تواجههم، وللاختلاف الكبير بين إيمانهم وبين العبادات الوثنية من حولهم. ويقول جريينواي: "تعرفوا بالتدريج على آلهة روما الوثنية الزائفة وانضموا إلى المعركة

فبدأت الأصنام تتساقط ".

على المسيحيين والمؤمنين بالكتاب المقدس – خاصة المقيمين في المدن – أن يدركوا ويتفهموا موضوعات البر والعدل، وأن يعرفوا أين يرسمون خطط المعركة لمهاجمة الأصنام الشيطانية في المدينة، داعين إلى حكم وسيادة المسيح على كل جوانب الحياة في المدينة.

إعلان الحرب

في كل مرحلة من التبشير في المدينة لابد للمؤمنين أن يرتبطوا – ارتباطاً وثيقاً – بالكنيسة المحلية في المدينة، ليخدموا في فرق مترابطة، ويتآلفوا مع قوة الروح القدس (رو ١٥: ١٩).

إن التبشير في المدينة هو مثل الحرب. وإعلان ملكوت المسيح هو تحدٍ لمملكة الشيطان. وأصنام المدينة شيطانية شريرة بطبيعتها، وعندما يبدو المؤمنون على الساحة، يُعد ذلك تهديداً لسيادة القوات الشريرة، والرياسات الشيطانية. فإن تواجد الكنيسة في المدينة علامة للقوات الشريرة، أن قبضتهم على الناس أوشكت على النهاية. فالكنيسة هي علامة نعمة الله

الفادية. ووجودنا في أي منطقة سكنية رمز حي لقوة المسيح على قهر أي عبودية. ولا عجب إذاً أن تصنع الأرواح الشريرة هذه الضجة عندما تقوم الكنيسة وتدخل المدينة. ولكن لن يتفهم أرواح المدينة ويعي إرسالية الكنيسة للمدينة يعتبر هذا تأكيداً لنصرة المسيح.

القسم الرابع

العائلات التي في المدينة

الفصل العاشر

الأبوة في خطر

لم يعد للأسرة – بالمفهوم التقليدي – وجود في العالم الغربي، وقد حل محلها أسر عديدة بأنماط مختلفة وأشكال متباينة. فهناك الأسرة ذات الأب منفرداً، أو الأسرة ذات الأم منفردة، وأسرة فيها زوج الأم أو زوجة الأب، وأسرة بدون زواج. فنحن نعيش الآن مرحلة من التغيير التاريخي في بناء الأسرة ووظيفتها. وصار الغليان واضحاً في كل مكان، في حضارتنا. وتقول إحدى المجلات "أطفال ينجبون أطفالاً" – ويرفض الأولاد أن يكبروا ويخرجوا من البيت؛ الموسرون يقيّمون سياراتهم أكثر من أولادهم. والأولاد الأغنياء والفقراء على السواء ينسفون أنفسهم بالمخدرات، ويخرج الناس عشوائياً معاً".

تتسيد حياة المدينة المجتمع الإنساني بازدياد، ويؤثر هذا على الأسرة بصفة خاصة. وقد شاهد قرن التطور الصناعي من سنة ١٨٣٠ (ثلاثينات القرن التاسع عشر) حتى ثلاثينات القرن العشرين (سنة ١٩٣٠) ازدياداً ملحوظاً في سكان المدن. ويشكل

سكان المدن نحو ٧٣ ٪ من إجمالي سكان الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد ساهم في تحلل الأسرة في المدن عوامل كثيرة، مثل البيوت المتردية، والتخريب، والفقر، وغيرها. ومع إن مدخل الحكومة ودورها ناقص بشكل مزعج، يصل إلى أكثر قليلاً من عملية الإسعافات الأولية لمناطق ذات احتياج حاد سافر، إلا أن الكنيسة لم تؤد عملاً أفضل بكثير. فاستجابتها لتفسخ الأسرة، وللضغوط التي تواجهها، مفتقرة للكفاءة والسرعة بشكل محزن.

لقد تضاعف معدل الطلاق بين الأسر في الولايات المتحدة، منذ عام ١٩٦٥م. ويتوقع علماء الاجتماع أن نصف كل الزيجات الأولى ستنتهي بالطلاق، وسينهار ستة من كل عشر زيجات ثانية. وسيعيش ثلث أطفال الولايات المتحدة - قبل بلوغهم الثامنة عشر - مع زوج الأم أو زوجة الأب. ويدفع الأولاد دائماً ثمن تشوش الوالدين. وينتظم في العمل ثلثا الأمهات جميعاً. وأكثر من نصف أمهات الأطفال الصغار وثلثا الأمهات جميعاً من العاملات، وكذلك أكثر من نصف أمهات الأطفال الرضع.

وقد ترك الطلاق خلفه جيلاً متهدماً خرباً. والألم لدى الكثيرين من الأطفال مركب لاضطرابهم بسبب التهاون المادي،

والإهمال، ونقص التربية، وأحياناً بسبب الفقر المدقع. فأكثر من سبعين بالمائة (٧٠ ٪) من جرائم العنف في الولايات المتحدة يرتكبها أولاد لأسر بدون أب أو بدون أم.

ويخشى المسيحيون في الغرب على الأسرة في المستقبل. فهم قد بدأوا – تواً – في مواجهة حقيقة أن إحلال الاستقلال المالي ونمط الحياة السلسة محل قيم الحياة الأسرية العتيقة تكلفته باهظة. وبدأ الناس في الاعتراف بحقيقة أن الأزواج والزوجات والأبناء لا يحصلون على كفايتهم من الحياة الأسرية. فالناس يجرحون ويؤلمون. وقد صارت الأسرة في المجتمع الغربي غير فعّالة.

وتعريف الأسرة في الكتاب المقدس هو أنها رجل وامرأة، متحابان وملتزمان أحدهما نحو الآخر من خلال الزواج، يربيان أولادهما في جو من الثقة والالتزام والتربية، المحبة. وعلى النقيض من ذلك وضع "مكتب الإحصاء الأمريكي American Census Bureau" تعريفاً آخر للأسرة: "فالأسرة هي شخصان، أو أكثر، يرتبطان معاً بالمولد أو الزواج أو التبني ويعيشان في نفس المنزل".

أما المحكمة العليا لولاية نيويورك فوسعت نطاق هذا

التعريف مؤخراً. فالأسرة شخصان رفيقان يكتسبان الحق الشرعي في شقة يعيشان فيها طويلاً كما الزوجة أو الزوج. أما الزعم بأن البيت الذي يضم الشواذ جنسياً يكوّن أسرة فهذا سخف. فيقول ناقد اجتماعي "لا يمكن أن نخدع الطبيعة الأم. فالأسرة هي أب وأم وأولادهما". ويظل على معظم المسيحيين أن يأخذوا تأثيرات الثورة الصناعية على الأسرة بجدية. فقد كانت الأسرة قبلاً وحدة إنتاج مترابطة، متمازجة معاً باحتياج الواحد منها لعناية ومساندة الآخر. أما الأسرة الحديثة فهي وحدة استهلاك. فالقيم العتيقة للعمل والادخار والترابط الأسري قد مضت، وحل محلها مثاليات الاستقلال المالي، والاقتصادي، والثراء السريع. فالأسرة العصرية يقودها هدفان هما: الرخاء، والاستقلال. فالغنى والراحة يُنظر إليهما الآن، كحقوق، وليس كنتيجة للعمل الجاد الشاق.

وقد أدت الثورة الصناعية أيضاً إلى تغييرات كبيرة في كيفية المعيشة؛ فالأسرة التي كانت من قبل تتماسك معاً بالعمل، يفسخها الآن التلفزيون والسيارة. وتكشف الأرقام من تقارير الإحصاء السنوي أن أقل من ٢٧ ٪ من بيوت الولايات المتحدة – البالغ عددها ٩١ مليون بيتاً سنة ١٩٨٨ – تتمسك بالنمط

التقليـدي للأسـرة. وللأسـف فـإن هـذه الموجـات غـير محـدودة بـالمجتمع الأمريكـي، أو البريطـاني فقـط. فنحـو نصـف الأطفـال المولوديـن في الدانمـرك، وأيسلند، والسويد أطفـال غـير شـرعيين، مولودون خـارج رابطـة الـزواج".

ومـن كـل سبع زيجـات في السـويد - تفشـل أربـع زيجـات؛ وهو واحـد مـن أعلـى معـدلات الطـلاق في العـالم الغربـي. وفيمـا بـين سـن العشـرين إلى سـن الثلاثـين يعيـش نصـف شـباب السـويد معـاً بـدون زواج. وقـد منـح المشـرعون في السـويد للشـريكين اللذيـن يعيشـان معـاً بغـير زواج، حالـة شـرعية مسـاوية لحالـة الشـريكين المـتزوجين. والمسـائل الضريبيـة والاتفاقـات الايجاريـة، والأمـور التأمينيـة وغيرهـا مـن الشئون القانونيـة، تطـالب بازديـاد الدعـوة إلى فرصـة حالـة مـن التسـاوي، سـواء بالنسـبة للشـريكين بغـير زواج، أو الشـريكين مـن الشـواذ. وطبقـاً لجريـدة "أخبـار العـالم المسيحي World Christian News" فـإن الـدانمرك قـد صـارت أول دولـة تسـمح، شـرعاً وقانونـاً، بإقامـة اتحـادات للشـواذ جنسـياً، وذلـك في أكتوبـر سـنة ١٩٨٩م. ومـع أن الرابطـة بـين الشـريكين المسـجلين مـن الشـواذ لا تسـمى زواجـاً إلاَّ أن إجراءاتـها القانونيـة تشـابه زواج العـاديين.

الشباب

يصرح عالم الاجتماع "كينيث وود ورد Keneth WoodWord" "إن عصر المراهقة المتدة قد حل". ففترة المراهقة هي وقت التعلم والانغماس في الذات؛ وهو وقت يكتشف فيه الشاب نفسه وفلسفته في الحياة.

أما البلوغ – من جهة أخرى –فهو وقت نمو الشخصية، ونضجها، وتطور خصائص الحياة الأخرى الضرورية لحياة الإنسان كعضو ناضج في المجتمع. وسمات الشخصية هذه، مثل المبادرة، والمنافسة، والالتزام، والأمانة، والتصميم، وسلامة العقل، كلها جزء من عملية النضج.

وبهذه المعايير نجد أن الشباب – وهم مقبلون على القرن الحادي والعشرين – أقل نضجاً من سابقيهم. إن جيل الأولاد المولودين ما بين عامي ١٩٤٦، ١٩٦٤، ينضج أسرع من الأجيال السابقة، لكنهم عاطفياً يستغرقون وقتاً أطول، إلى أن يصلوا لأداء اختبارات البالغين. فالشباب هو الفترة المتدة ما بين المراهقة والبلوغ. وينعي القادة المسيحيون ضياع المراهقين الناضجين. ففي الأجيال الماضية، كان الشباب يُعتمد عليه، أن

يكون مسئولاً عاطفياً. أما الجيل الحالي فنتاج مجتمع ثري للغاية، وليس مستعداً لدفع ثمن الدخول إلى عالم الحقائق الصعبة. فالكثيرون من الشباب من عائلات غير فعّالة.

إن نسبة ٥٧ ٪ من المراهقين الأمريكان يمارسون الجنس ببلوغهم الثامنة عشر. فهو جيل علاقة الليلة الواحدة العابرة. وأكثر من ثلثي حالات الإجهاض تتم لنساء وحيدات بلا أزواج – تحت السابعة والعشرين. وبعض النساء الشابات يقمن بعدة عمليات إجهاض، والسهولة التي تختار بها أولئك الشابات الإجهاض تعكس إحساساً مضطرباً من الانغماس داخل الذات، ولا مبالاة منذرة مخدرة للثقل الأخلاقي لأفعالهن.

هذا هو الجيل الذي يلتزم بألا يلتزم. ويعيش نصف البالغين الثلاثين في معاشرة زوجية معاً بدون زواج، ويفترض الكثيرون منهم عدم صلاحية الزواج على المدى الطويل.

وتبين الدراسات الآن إن الذين مارسوا الجنس قبل الزواج أقرب إلى الطلاق، ممن لم يمارسوه قبل الزواج.

إن تأثير التلفزيون، بما له من قدرة على تقديم الانحراف الفوري المستمر، والسلبي فكراً، يُعد سببا كبيراً لعدم النضج

المستديم. فالساعات الطويلة من مشاهدة التلفزيون، والاستماع إلى موسيقى "البوب" قد أثمرت شباباً سلبياً. ويتضح دليل هذه السلبية في رؤية الطلبة المتغيرة للحياة بعد الجامعة. وقد كشف أحد علماء الاجتماع أنه في أوائل السبعينات، كان أهم القيم المرعية لدى شباب الجامعة، هو تطوير فلسفة قوية للحياة. وبنهاية الثمانينات تراجعت هذه القيمة إلى الدرجة التاسعة، لتخلف مكانها الاختيار الأول وهو الثراء المادي. لقد تربى أبناء الازدهار، في أغنى مجتمع، في تاريخ البشرية، ومع هذا يظهرون الكثير من التذمر الخفي، إحساساً منهم بأن شيئاً ما قد ساء للغاية في عالمهم. ويكبرون، ليدركوا أنه حتى الأسر ذات الدخل المضاعف لا يمكن أن تشتري السعادة.

عائلات الأقلية

وعلى الجانب الآخر من المدينة - اقتصادياً ومادياً - يعيش زنوج المدينة. ويقول هارفي كون Harvie Conn مؤلف كتاب "إرسالية المدينة Urban Mission": "من بين كل الأمريكيين يبدو الزنوج أكثر عُرضة للتيارات الحديثة لإزالة وهم الأسرة. ففي سنة ١٩٨٢ كان نحو ٣٠٪ (ثلاثين بالمائة) من

مجموع أسر الزنوج تقودها المرأة مع أولادها (بلا رجل)، في مقابل ٧ ٪ (سبعة بالمائة فقط) من أسر الرجل الأبيض".

يرجع تفسخ الأسرة الزنجية إلى التفرقة العنصرية المجسمة. إذ يفترض كثيرون من الرجال البيض أن الزنوج فاسدون وغير مسئولين، ولا يقدرون على المحافظة على كيان الأسرة. ويدعو البعض هذه الظاهرة: "لوم الضحية". فإن مرض الأسرة الزنجية يفترض أنه سبب، وليس عرضاً لفساد مجتمع الزنوج.

ويؤكد القس الأسود ولنجتون بون Wellington Boone أن نظام الرفاهية أدّى إلى انهيار الأسرة الزنجية: "العبودية أهلكت الأسرة السوداء الزنجية. ولكن الزنوج السود بدأوا – للمائة سنة القادمة – في إعادة بناء القيم التقليدية للأسرة، والتي جلبوها معهم من أفريقيا. وبدأ الليبراليون المتحررون – بنظرتهم نحو مجتمع واسع كبير – في تقديم المال لحل المشكلات، التي ليس لديهم استعداد للتورط فيها على أساس شخصي".

ويؤمن "ولنجتون بون" وكثيرون من السود، أن نظام الرفاهية قد أسهم في انهيار الأسرة، فهو يشجع الآباء السود

على عدم الزواج، والأمهات على إنجاب المزيد من الأبناء، حتى تستمر العلاوة التي تُقدم لهم عن كل طفل.

وفي الوقت ذاته تعتمد الأسر الزنجية في المدينة، على الأجهزة المعاونة. فالجيران يكونون مجتمعاً لصيقاً للمعاونة في تربية الأولاد، وقد تخطت الأسرة الزنجية المتسعة الممتدة حدود رابطة الدم، ليصير الجار خالاً والجارة عمةً. فقد أوجد الزنوج علاقة "الأخوة الروحية".

وبحول عام ٢٠٠٠ سيعيش في الولايات المتحدة، نحو أربعين مليوناً من مواطني أمريكا اللاتينية. وهناك الكثير مما يجب تعلمه من حياة الأسرة التقليدية لديهم. فالروابط القوية للالتزام الأسري، في تلك الحضارة، تعد نموذجاً يُدرس بعمق. وبرغم التحديات التي تواجهها قوة الأسرة الآن – من العصابات والمخدرات – إلا أنه يمكن تعلّم الكثير منهم عن شكل العالم الغربي الواجب. هذا، برغم أن الضغوط الاقتصادية قد أجبرت الكثيرين من رجال أمريكا اللاتينية على ترك عائلاتهم في المكسيك وأمريكا الوسطى. وفي الوقت الحالي يعيش نحو ثلث أطفال الأسرة الأمريكية اللاتينية في بيوت ذات أب منفرد أو أم منفردة (بدون.الطرف الآخر) في الولايات المتحدة.

العائلات المحتاجة

الأسرة، لا الكنيسة، هي الوحدة الأساسية الأولية في المجتمع. ففي الصفحات الأولى للكتاب المقدس، يظهر الله قصده في أن يلتصق الرجل والمرأة معاً لتربية الأطفال في جو من النقاء والمحبة الطاهرة. ويكمن خلاص الأسرة في المناداة بالإنجيل، بل وفي الأسر المسيحية ذاتها، حين نجد معنى وقصداً جديدين لالتزامها بالخدمة المسيحية. ولكي تجد الأسرة المسيحية مركزها ومحورها، لابد أن تكون أسرة، تلتزم بالخدمة المضحية للآخرين. فهناك فرصة لمن يريد أن ينخرط في هذا الأمر.

الفصل الحادي عشر

عائلات لها رسالة

إلى محـرر جريـدة:

"المسيحية اليـوم Christianity Today"

هويتـون Wheaton، إلينـوي Illiniois

الولايات المتحدة

عزيـزي المحـرر:

قـرأت – تـواً – مقـالاً في جريـدة "المسـيحية اليـوم" بعنـوان "النضج في عـالمٍ بعيـدٍ" (فـبراير ١٩٨٩)، وأحسسـت بـأن هنـاك مـا أريـد – حقـاً – مشـاركتكم فيـه حـول هـذا المقـال. فأنـا ابنـة لأحـد المرسلين المبشـرين. كـان والـداي مبشـرين في بلـد بوسـط آسـيا، حيـث ولـدت هنـاك. وأنـا أعيـش الآن في هولنـدا، حيـث كـبرت ونضجت. إنني أجد مقـالكم مثـيراً، لكـن هنـاك شيئاً مـا ينقصـه.

كـان أبـواي دائمـاً مـا يشـملاننا في اختيـار "مجـال التبشـير"،

ويشجعاننا على الصلاة، وطلب إرشاد الله - شخصياً - في كل قرار نتخذه.

وأحب أن أؤكد أن الله حينما يدعو أبي وأمي ليكونا مرسلين ومبشرين، فإنه لا ينسى أولادهما. لقد طلبت من أجل دعوة شخصية جداً وتثقل واهتمام بالبلد الذي نعيش فيه، وقد نلت ذلك. فقد دعاني الله أيضاً. وإن كان الله قد دعاني، فلا لوم على أبواي. وكانا يشجعاننا ويحثاننا على الصلاة من أجل نوعية التعليم الذي نتلقاه. ونتيجة لذلك اخترنا - أنا وأخي - مدرستين مختلفتين (التحق أخي بمدرسة دولية، والتحقت بمدرسة هولندية عامة). ولهذا، فإن كل معادلة ينبغي أن أؤديها أو أية دراسة إضافية أجتازها - لو شعرت بأن الله يريدني التحق بكلية في الولايات المتحدة - هي مجرد معادلة عليّ أن أؤديها. وهي ليست مشكلة كبرى. بل إنني أثق وأؤمن إنها قد تكون جزءاً من خطة الله الإجمالية لحياتي. وينبغي ألا تكون مشاكل أو مسائل المبشرين هي أولادهم، وتعليمهم المدرسي. ولابد للسؤال أن يكون: هل طلبت من الله ما يريده هو؟ وقد افتقدت سماع ذلك في مقالك. فإن الله قد خلق الأسرة، وهو لا يدعو نصفها فقط للخدمة بل يدعوها كلها. فيلزم للأولاد

أن يعوا ويدركوا أن الدعوة لهم شخصياً ويقبلوا ذلك. وأية غصّة يشعر بها الولد، فلعلها بسبب إبعاده وعدم ضمه إلى هذه القرارات، التي تؤثر على حياته تأثيراً عظيماً أيضاً. فإن الله يعلم ما هو صالح لنا. فلماذا لا نسأله؟ ونسأله مع أولادنا أيضاً؟

المخلصة

ميشا مكلونج

Misha McClung

نضج الإنسان في المدينة

إن نشأة الإنسان في المدينة – تماماً كنشأته في مجال الخدمة والتبشير – فيها قدر من المجد وقدر من الألم. وتعكس رسالة ميشا Misha بعض المجد. فعندما تربي أولادك، سواء في مدينة أمريكية أو في مدينة في أي دولة أخرى، وتدخلهم ضمن القرارات التي تؤثر في حياتهم، فإنهم ينشأون وينضجون، وفي داخلهم تشوق نحو سماع صوت الله لذواتهم.

إن تربية الأولاد في مدينة – كتربيتهم في ميدان التبشير – له عيوبه. فقد لا يقدرون، أحياناً، أن يلعبوا مع غيرهم من

الأطفال بسبب خطورة ذلك أو صعوبته. وغالباً، لا يكون هناك مكان للعبهم. لكن مجد المعيشة في المدينة يفوق بكثير آلامها. وفي الحقيقة يصير الألم مجيداً حين تنظر إليه بالطريقة الصحيحة. فمجد الله موجود – غالباً – في أصعب الظروف وأقساها. فمن يقدر أن يفكر في أن الله أرسل ابنه الوحيد ليعاني الإذلال، والقسوة، والموت الأليم على الصليب؟ ولكن في تلك اللحظة الرهيبة تجلّى تماماً جلال مجد الله وصلاحه.

إن مجد وتربية الأولاد في المدينة له علاقة بجلال روح الله المتجسد في حياتنا، في أحياء المدينة التي نعيش فيها. إن مجد الله هو انتصار نعمته، في مواجهة احتياجات الناس في مواقف الحياة الفعلية. والمجد هو أن نرى أولادنا مشتركين في حياة الآخرين، ونتعلم أن نتكل على روح الله في هذه المواقف.

في السنوات الأولى لخدمتنا رأيت كثيراً جداً من المجد في الخدمة، ودفعني هذا إلى إنفاق المزيد من الوقت بعيداً عن منزلي. وقد افتقدت فعلياً إلى بعض مجد البيت وأنا منغمس لساعات في المشورة والتبشير بالإنجيل في الشوارع. ولحسن الحظ أن سالي – زوجتي العزيزة – لم تدعني أهرب إلى العالم الصغير من المجد الخاص بي. فإن التذكر الأمين لاحتياجاتها،

واحتياجات ولدينا قد أنقذني من مصيري المزري. واليوم، وقد عشت في أمستردام منذ عام ١٩٧١، فإن المجد يفوق الألم بما لا يقاس. وقد كبر الولدان واكتسبا جمالاً خاصاً. وقد ساعدت هذه المدينة - بالقطع - على تشكيلهما إلى ما هما عليه كولدين دوليين مفكرين حيويين مهتمين. وحسب قول أحد القادة المسيحيين: "لو قُدر لنا أن نعمل هذا لعملناه نفسه ثانية".

وخلال السنوات التي عشناها في مجتمع مسيحي كنّا - أنا وزوجتي العملية وولداي الأمينان - قد تعلمنا دروساً عما يلزم عمله بصورة مختلفة، لو أتيحت لنا فرصة أخرى. فمسألة تربية الأسرة لأولادها في المدينة، مسألة معقدة متعددة الأوجه. فليست ظروف كل أسرة كالأخرى، وليست هناك مدينتان متشابهتان، فالأسر لا تتشابه والمدن لا تتشابه، والأحياء لا تتشابه، والمفاهيم لا تتشابه.

➢ الألم

من المهم المواجهة الأمينة لعيوب تربية الأولاد في المدينة.

ألم التشكك وعدم الثقة:

إن ألم الفصل العرقي، موجود في المدينة. فالأطفال البيض غالباً ما يشكلّون أقلية، وهم يحسّون بذلك. وهذا الفصل أو العزل العرقي يؤثر على وقت لعب الأطفال. فممنوع عليهم الحديث مع الغرباء، واللعب في المتنزهات والحدائق، أو الخروج خارج المنزل وقت الظلام، أو فتح الباب للطارق عند غياب الوالدين، أو ترك الدراجة خارج المنزل (وإلا ستسرق). كما أن عليهم الحرص الشديد، والانتباه اليقظ، لكل ما يحدث حولهم.

كذلك لابد أن يعاني من ألم العزلة، الآباء البيض الذين يعيشون في آسيا، أو في أحياء الزنوج، أو في أحياء الأمريكيين اللاتين. فقد يكون هناك انعدام للثقة. فالأقليات العرقية تنظر بالشك إلى البيض الذين يجوبون أحياءهم. فصانعو الخير البيض غير مطلوبين وغير مرغوبين برغم أصالة صداقتهم.

ألم حدود الوقت:

إن الآباء الذين يعيشون في مناطق التحدي والدعوة، لديهم فرصة دائمة لرعاية أطفالهم، بل وأطفال الآخرين أيضاً. ولأنهم

محاطون بالأطفال والمساكين والعائلات المحتاجة، فهناك ضغط كبير عليهم لانشغالهم بأعداد كبيرة من الضيوف. والآباء والأمهات الذين في مشغولية مشدودون إلى اجتماعات الكنيسة، ولقاءات الجماعة، والاستجابة إلى حالات طوارئ الليل المتأخرة.

ألم الخطر المادي:

ليس متعة أن تواجهك – وأنت سائر في الطريق – سكين تهددك أو لكمة تطيح بك من فوق دراجتك. وليس ضغطاً سهلاً أن تتعايش المرأة – لكونها امرأة – مع خوفها الدائم من الهجوم الجسدي عليها.

ألم الحمل الحسي الزائد:

يتعلم الأولاد والآباء معايشة المدخلات المستمرة إلى العين والأذن والأنف. فهناك الروائح الكريهة، والحوائط التي يتبول عليها الناس. كما إن صوت وضوضاء المرور، ومجادلات الشوارع قائمة على الدوام. وتجد بعض الحضارات أن هذا المدخل الحسي لحواس الإنسان عملية أليمة للغاية، لكن البعض الآخر يراها جوهر الحياة. فبالنسبة لبعض الحضارات تتولد لديهم

الإحساس بالأمان والسلامة من خلال ازدحام الشوارع، والعلاقات اللصيقة، ومناظر المدينة، وضوضائها.

ألم الترابط المفقود:

لو أن المدينة، التي اختارت أسرتك العيش فيها، واقعة في دولة أخرى، أو مختلفة في جوانب أخرى عن مكان نشأتك، فستفتقد – بلا شك – أن تجيز أولادك في نفس علاقات طفولتك. ولكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة لي، عندما أخذنا الأولاد عائدين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ولم يعرفا "عهد الوفاء للعلم"، الذي يتعلمه كل طفل في المدرسة. لقد صدمت زوجتي سالي وهي تحاول أن تشرح لابننا ماثيو Mathew أهمية مبنى ألامو Alamo في تاريخ ولاية تكساس موطنها الأصلي. ورداً على محاولاتها تعليمه درس تاريخ فوري عن ولاية تكساس العظيمة: أجاب "ماثيو" "أليست ألامو وكالة لتأجير السيارات؟" وقد أظهر وجه سالي خيبة أملها في أن ابنها لم يشاركها إحساسها العميق بالكلمات: "تذكر الأمر".

➢ المجـد

عندمـا تتجسـم سمـة الله في ظـروف حيـاة الأسـرة الحقيقيـة فالنتيجـة هـي تعلـم المبـادئ. وهـذه المبـادئ تصلـح لكـل حضـارة وتعمـل فيـها. وقبـل أن نطـالع المبـادئ وكيفيـة تطبيقـها، فلنبحـث أولاً، بعـض الأسـباب الـتي تجعـل حيـاة المدينـة مجيـدة. ومـا يلـي هو من أقوال مـاثيو عـن أسـباب استمتاعه بحيـاة المدينـة.

أحـد الأشـياء الـتي أحبـها في المدينـة هـو أنـها لا تفتقـر إلى الإثـارة. فـهناك دائمـاً شـيء مـا نتعلمـه، وهـي ليسـت مملـة حقـاً. وفي المدينـة بصفـة خاصـة تسـهيلات فوسـائل المواصـلات متيسـرة. فليـس عليـك أبـداً أن تعتمـد علـى السـيارات الخاصـة للانتقـال. هـذه المدينـة ذات جـو جيـد. أعلـم أن هنـاك بعـض اللصـوص والمجرمـين وخلافـه. إلا أن غالبيـة النـاس ليسـوا كذلـك. وهنـاك دائمـاً إحسـاس لدى الناس بتواجدهـم معـاً في مكـان واحـد، وهـذا جيـد.

المدينـة ذات وجـهين، فـهناك أنـاس طيبـون، وهنـاك أنـاس أشـرار، ولابـد أن تحمـي ظـهرك مـن آن لآخـر حتـى لا يسـرقك أحـد أو يعتـدي عليـك. لكـن يمكنـك مقابلـة النـاس هنـا فيمكـن أن يكون لـك صداقـات.

ليس هناك افتقار في النشاط. فهناك الكثير نفعله، كلعب البلياردو أو السباحة، أو التمشية في الحدائق، أو ارتياد السينما، أو تناول العشاء في المطاعم. فهناك كميات كبيرة من أنماط المطاعم المختلفة، من كل دول العالم المتباينة. وكذلك فإن عملية التسوق ممتعة.

هناك كثير من الحضارات المختلفة. فيمكنك أن تلتقي مع أعداد كبيرة من الناس المتعين، من كل أنحاء العالم، من أفريقيا، وأمريكا الجنوبية، وجزر الكاريبي، وآسيا.

وهناك الكثير من استعراضات الفرق المختلفة، فنرى سانتا كلوز الهولندي يأتي كل عام. وهناك الكثيرون من الاحتجاجات والمظاهرات، وكل أنواع الأمور المختلفة التي نراها هنا، والتي لا توجد في المدن الصغيرة.

لا ربح بلا جرح، ولا مغانم بلا مغارم

كأب حاولت - بوعي - التفكير في المزايا مقابل العيوب، في تربية أولادي في المدينة. وأحد هذه المزايا العجيبة هو حساسية الحضارات المتداخلة، فيتعلم الأطفال شكل تمييز الآخرين عليه. كما يتعلمون رؤية الإنسان كإنسان حقيقي،

وليس كمجسم، أو كاريكاتير. ويشاهدون أطعمة من كل أنحاء العالم، ويتذوقونها. ويعاينون مجاهدة الناس ضد الضغوط والفرص، الأمر الذي لن يختبروه في حضارتهم الخاصة. كما يرون في الشوارع أطفالاً بلا مأوى. كذلك يجدون تأثيرات الكحوليات، والمخدرات، والجنس المختلط قائمة أمام عيونهم. فهل نحميهم من كل هذا؟ لا مجال. بل أتمنى أن يتأثروا بها، إلى درجة انشغالهم بالصلاة من أجلها. وأصلي لله أن يستخدم ذلك لصياغة قيمهم، وتشكيل طموحاتهم في الحياة.

وهناك فائدة ثانية من حياة المدن، تأتي حينما يدرك الأولاد أن كل شيء في الحياة هو عطية من الله. وأن من لديه المسكن الآمن، والأسرة السوية الصحيحة، قد نال بركة كبيرة من عند الله. لقد اعتاد أولادنا على أن يعيشوا في عالمين مختلفين، أحدهما عالم حضارة المنزل، والآخر عالم الحضارة المكتسبة. فهم يتعلمون أنهم سوّاح، بالحقيقة على هذه الأرض.

يتربى أطفال المدينة في بيئة روحية صاغتها الضرورة. فإن المعيشة – كأغراب في منطقة سكنية بين ناس من مختلف الجنسيات – لهم دعوة جبارة لحياة الصلاة والالتزام الأسري. فيمكن للأولاد أن تكون لهم رؤية مغروسة فيهم للخدمة وللعالم،

وهو ما لـن يتـم بالمعيشـة في عزلـة حضاريـة وعرقيـة.

وفي المدينــة يتعلــم الأولاد عـــن طبيعـــة الإنســـان الســـاقطة. فالمدينـة تحتــوي علــى النقيضـين - أفضـل وأسـوأ - في الطبيعـة البشـرية، والحضــارة الإنســانية، والجريمــة موجــودة في المدينــة - فـالأولاد يشـاهدون أمامـهم طبيعـة الإنسـان السـاقطة. ومـن ثـم تتــاح لهم فرصة التجــاوب علـى أسـاس يومـي.

وإليكـم مـا قالـه ابـن أحـد رعـاة المدينـة "بــول فـان ديركــلاي Paul Van der Klay" في كتابــه "إرســالية المدينــة Urban Mission"

"يعلــم الأولاد، باتجاهــهم إلى المدينــة، أنــهم لــن يذهبــوا هنــاك أساساً لمعاونـة الفقير والمريـض والمحتـاج، بـل الأرجـح أنــهم يعلمــون أن شـخصياتهم ستتطور، وأن أرواحــهم ســتتأثر بعمــق، عندمــا يوجــدون في الإنسـانية الحقــة ..."

لا يتعلــم الأولاد الكثــير عندمــا تكــون خبرتـــهم الوحيـــدة في المدينـة هـي إغـلاق النوافـذ وإحكـام متــاريس الأبــواب. وعــوض أن يتعلمـوا أن الكنيسـة كيـان دولي بالحقيقـة، وأنـها مكوّنـة مـــن نـــاس من كــل الألـوان، وكـل الأمـم، يتعلمـون الحفـاظ علـى المسـافة بينـهم

وبين الآخرين المختلفين عنهم. وليس الأولاد أغبياءً، فهم يتعلمون من الذي ينبغي الخوف منه ومن الذي يمكن الثقة به، وذلك من خلال مراقبتهم لآبائهم، فيدركون من هم "الصالحون" ومن هم "الأشرار".

والحياة في المدينة ليست علاجاً، أو ترياقاً لتربية أولاد جبناء وأنانيين. فداخل المدينة يمكنهم أن يتعلموا الخوف الذاتية والانغلاق. إلا أن الانغلاق في المدينة لا يمكن ألا يُلاحظ، ففي المدينة نجد التفرقة العرقية والاستهلاك الفردي من الأمور الواضحة، ولعل هذا هو مفتاح بعض مشاكلنا. فبعض البيئات تسمح للكذب بالاستمرار، بينما البعض الآخر يجبرنا على مواجهته.

مبادئ تربية الأولاد في المدينة

لقد قررت الالتزام بالمدينة كأسرة، فماذا الآن إذاً؟ إليك بعض النقاط العملية التي ينبغي أن تضعها في ذهنك.

خدمة الأسرة:

إن الله يدعو الأسرة بأكملها. فلو أدخلنا أولادنا ضمن

عملية البحث عن إرادة الله للأسرة، فهذا يعطينا الفرصة لتعليمهم سماع صوت الله. فيمكنهم أن يعرفوا، بأنفسهم، أن الرب يدعوهم إلى خدمة المسيح، لكونهم جزءاً من أسرة في إرسالية. ويتعلم الأولاد من أبويهم، وقد كان مدخلنا لذلك منذ أيام الأولاد الأولى أنهم جزء من خدمتنا. فإن الله لديه دور لهم ليؤدوه.

لقد اهتزت مشاعري عندما جاءت ابنتي ذات الاثني عشر عاماً – إلى المنزل من معسكر، وقالت لي: "العم دال Dale قال إن لي قدراً. وقال إن كل ولد في كل أسرة له قدره، فما هو قدري يا أبي؟" وقد ذهلت لأن "ميشا Misha" قد سمعت ما أؤمن به في أعماقي، وقد حاولت أن أصوغ لها كل حياتها. وقد حدد الله لكل طفل قدراً ولكل أسرة مصيراً. إن عملية تكوين حس المغامرة والإيمان، في قلب الطفل أمر يسير، فعندما يرانا الأولاد نطلب من أبينا السماوي توجيهاته لنا وتأكيده لنا كيف تكون أسرتنا بركة للآخرين، فإن الحماسة تشتعل فيهم.

الخدمة الخارجية:

ونحن نربي أولادنا في المدينة، لابد أن نعلمهم أن لهم دوراً

محدداً يؤدونه في خدمة الناس، فقد علمنا أولادنا – أنا وزوجتي – أهمية أن نحب الساقطات، محبة إلهية كالمسيح، ونعاملهم ككائنات بشرية عادية. وشجعناهم على معاملة الخاطئات بود. وقد أعطانا هذا الفرصة لنعلّم أولادنا عن مخاطر المجتمع الأبوي، وكيفية التجاوب مع الناس عندما لا نتفق مع أسلوب حياتهم.

لقد أفادت العملية كلها بطريقة عجيبة، ففي أحد الأيام رسم أحد أولادنا صورة لساقطة معينة اسمها "بيتي Betty". ولم تقدر "بيتي" على مقاومة المجيء لمنزلنا الصغير لتشرب القهوة وتتساءل عنا من نكون، ولم يمض وقت طويل حتى قبلت المسيح مخلصاً لها. ومن خلال هذه الخبرة بدأ ميشا وماثيو في أن يتعلما أن الله يقدر أن يستخدمهما كما يستخدم أمهما وأباهما.

التفرقة الروحية:

إننا نساعد أولادنا على النمو في التمييز والنضج بمعاملتنا للأرواح الشريرة في المدينة. فنعلمهم الفرق بين الأنماط الثقافية والقوى الروحية الشريرة ومن المهم أن نعلّم أولادنا، منذ سن

مبكرة، كيف يهاجم الشيطان الناس في أذهانهم، وأجسادهم، وعواطفهم.

ويجب أن نعلّمهم كيفية التجاوب مع أمور؛ مثل العنف، والاندفاع، والتهور، واللامسئولية، والانحراف الجنسي، والتفرقة العنصرية، والظلم الاقتصادي، والمادية، والجشع والغضب. هذه القوى الروحية الشريرة تعمل في المدينة وفي قلوب الناس الذين في المدينة. ونفعل هذا بتقييم كل موقف حينما يحدث، ونعلمهم رد الله في هذا الموقف.

الحياة اليومية:

لابد أن نعلّم أولادنا دروساً عملية عن البقاء في المدينة، ويتضمن هذا كيفية التنقل في المدينة بوسائل المواصلات العامة، وكيفية التعامل مع الغرباء، والأماكن الممنوعة عليهم وزمن خروجهم، وكيفية السلوك هناك. فإن كنا نخاف من المدينة، فإن الأولاد يلتقطون سلوكنا في الحال. ولكن إن طلبنا من الرب حمايته وحكمته في كل موقف، فإنهم سوف يطورون ذلك كسلوك في الحياة. لابد أن نتخذ المبادرة مع أولادنا ونتطلع نحو لحظات القابلية للتعليم.

تعليم الأخلاقيات:

إننا نخدم أولادنا حين نعلمهم التواضع والنقاء والطهارة. وقد سمحنا لتساؤلات الأولاد أن تشكّل مذكرة بما علمناهم. فما قلناه لماثيو عن طبيعة عمل الساقطات – حين سأل وهو في سن الخامسة – يختلف عن إجابتنا له وهو في الثامنة. وهذه تختلف عن إجابتنا له وهو في سن الثانية عشرة.

في الحقيقة أجابت ميشا عن سؤاله لأول مرة. فعندما كانا في الخامسة والسابعة اصطحبناهما في زيارة للمدينة. وكنا نحاول تقديمهما للمدينة، بصورة إيجابية، مع بعض المرح، لنساعدهما على التكيف مع الحياة في وسط المدينة وفي إحدى الليالي كنا نبحث عن مكان للسيارة، وانتهى بنا المطاف إلى منطقة الحانات، فرأى ماثيو نساءً واقفات خلف النوافذ، فتساءل في تعجب وهو في المقعد الخلفي: "انظري يا أمي. ماذا تفعل كل هذه النساء بدون ملابس؟" وفي الحال رفعت ميشا صوتها بالجواب قائلة: "حسن يا ماثيو، عندما نفعل أموراً ينبغي ألا نصنعها، فإننا بعد فترة نبدأ في التفكير بأنها الأمور الصحيحة تلك التي نصنعها. إن هؤلاء السيدات يكسرن شرائع الله، وهن يعتقدن الآن بأنهن على صواب في كسر شرائع الله، فإن فعلنا الخطأ فإننا نبدأ بعد قليل في

تصديق أنه صواب".

وقد اندهشت سالي لإجابة ميشا وأعجبت بها. اندهشت لنضجها وأعجبت بكيفية تعليمها لأخيها الأصغر. وفيما بعد ناقشت سالي الأمر بعمق أكبر مع ماثيو وميشا. وفي تلك الليلة كان الدرس له علاقة بكسر شرائع الله، وليس عن خطأ أولئك النساء. وشرحت سالي الأمر ببساطة أنهن متبجحات، وأنهن يفعلن ما يغضب قلب الله، كما شرحت لهما أهمية أن نحب أولئك النساء بمحبة الله، وأن نصلي من أجلهن.

استغراق الوقت:

نساعد أولادنا أيضاً في أن يدركوا أن الحياة في المدينة تستغرق وقتاً أطول. فإن ضغوط حياة المدن المزدحمة المشغولة تعني احتياج الأولاد لمزيد من الوقت للنوم. كما سيحتاجون إلى وقت أطول مع آبائهم، ومعنى هذا أن يبطئ الوالدان من عجلة الحياة. وببساطة، فإن الأمر يستغرق وقتاً أطول في معالجة كل المواقف والضغوط الناشئة، ولابد أن ندخل هذا الأمر ضمن جدول أعمالنا، سواء كنا منشغلين بالخدمة المسيحية، أو قد التزمنا بحي سكني، لأن الله دعانا لنكون هناك.

أن نكون عمليين:

لابد أن نجهز الأدوات اللازمة لرعاية الطفل، ولعبه. فلابد أن تكون هناك حمّالة نضع الطفل فيها ونحن داخل الأتوبيس، ومظلة للوقاية من المطر، تكون متواجدة في الحقيبة، واللعب يمكن استخدامها أساساً في الداخل.

لقد تعلّمت سالي، خلال الأيام الأولى لتربية الأطفال في المدينة، أهمية أن تجعل البيت مكاناً مملوءاً بالدفء والمتعة، والقبول والإبداع. فالآباء يضعون القدوة أمام أطفالهم، بسلوكهم هم، وبكلماتهم وباختباراتهم وقراءاتهم.

التمرين الجسماني:

من المهم أن نعطي الفرصة لأولادنا لتلقي التمارين الرياضية المناسبة. وقد تفي بالغرض بعض ملاعب المدينة وكذلك حمامات السباحة، وأندية كرة القدم، وممرات ممارسة ركوب الدراجة، وساحات كرة السلة ... وخلافه. وينبغي أحياناً متابعة اللعب، فليس ثمة سبب، يجعل الآباء لا ينظمون اللعب. تحدث مع الآباء الآخرين المهتمين، واندمجوا معاً في أنشطة أولادكم.

النمو في الإيمان:

يمكن أن نعلّم الأولاد الثقة بالله، بإعطائهم مشروعات إيمانية خاصة. فعندما انتقلنا إلى شقة في وسط المدينة - مثلاً - دعونا الولدين (في السابعة والتاسعة حينئذ) إلى تحمل دعوة الصلاة، من أجل الأموال اللازمة لفرش حجرات النوم بالأثاث. فاستثارتهما هذه الفكرة أو المشروع. فأعدا بعض الفطائر والكعك، وجمعا الأشياء القديمة المستغنى عنها، وباعاها، وشاركا الحاجة مع أصدقائهما.

جاءت شيكات من جديهما، وقدم أصدقاؤهما هدايا غير متوقعة، وبالتدريج زادت أموالهما. وقد أدى هذا إلى أن زاد إحساسهما بالإنجاز، وثقتهما بالرب بشكل مذهل. وشاهدا الأموال تتدفق لتساعد في تأثيث حجرتيهما. فقد كانا جزءاً مما يحدث، وكانت هذه تجربة عظيمة لنا جميعاً.

محبة المدينة:

من المهم أن نساعد الأولاد على أن يستمتعوا بالمدينة، فكثيراً ما نكون في المدينة ولكن لسنا جزءاً منها. لا تجعل المدينة بعيدة عنك، احتفل معها بحياتها: اذهب إلى المسرح، وإلى حفلات

الموسيقى، والكونشرتو، وإلى الحدائق والمتنزهات، وحديقة الحيوان، والمتاحف، سر في شوارعها، وقابل أهلها. اجعل محبة المدينة في قلبك، وسيحبها أولادك أيضاً.

وقت للمشاركة والمعية:

من المهم للعائلة أن يكون لها أوقات منتظمة، يلتقون فيها معاً. ومع أننا – أنا وسالي – لم نكن معتادين على تناول طعام الإفطار، إلا أننا قررنا أن نجعل من وقت الإفطار حدثاً أسرياً هاماً. فكنا نستيقظ معاً، ونعاون الأولاد على ارتداء ملابسهم، ثم نقضي وقتاً معاً على مائدة الإفطار. واستمر هذا التقليد حتى وصلا إلى سن المراهقة.

وكنا نصلي طوال اليوم، مقدمين حياتنا للرب. وفي المساء كنت أساعد الأولاد في الاستعداد للنوم، بينما تعد سالي العشاء. وبعد تناول العشاء كنت أقص عليهم بعض القصص. واخترعت قصصاً عن فأر الكنيسة، والحوت ويلي، "وبيلي باس" المبشر.

. وعندما بدأ الأولاد يكبرون صرنا نقرأ معهم كتباً جيدة. فقرأنا "بيت صغير في البراري The Little House on the Prairee"، "مذكرات نارنيا Narnia of Chronicles"

لـكاتبها سـي إس لويس C. S. Lewes، "رب الحلقـات Lord of the Rings" لكاتبـها جـي آر آر تـولكين J. R. R. Tolkein، وكتـاب "ريـاح بـين أشـجار الصفصاف Wind in the Willows" للكـاتب كينيـث جراهـام Kenneth Grahame وغيرها الكثـير. ويـا لهـا مـن تجربـة وفـيرة عجيبـة لنـا كأسـرة، لقـد أعطتنا فرصاً عديـدة للمشـاركة، والحديـث عـن سـير الأمـور في حياتهما كما أنشـأت لديـهما حبـاً لـلأدب الجيـد أيضـاً.

وعندمـا كـبر الأولاد قليـلاً صـارت لقاءاتنـا الأسـرية وأوقاتنـا العائليـة أسـبوعية، وليسـت يوميـة. وفي النهايـة صرنـا ندعـو لاجتمـاع العائلـة عنـد اللـزوم، وعنـد الحاجـة. ومـازالت هـذه الأوقـات العائليـة جـزءاً منتظمـاً مـن حياتنـا العائليـة. وصـارت اجتماعـات العائلـة أوقاتـاً للمـرح، وللصـلاة، وللمشـاركة في الأمـور الشـخصية، ولاتخـاذ القـرارات، وفي حـل الصراعـات. وقـد أوجـدت إحساسـاً بالتماسـك الأسـري والمعيـة العائليـة.

السعي نحـو الصـلاح:

لابـد أن نبحـث عـن تعويضـات الله لنـا في وسـط التضحيـة. فلا ننكر أنك تضحـي بشـيء مـا مـن أجـل أن تحيـا في بعـض أجـزاء

المدينة. وقد تعلمت أمراً هاماً عن هذا من سالي.

فمنذ البداية تكوّن لديها سلوك السعي نحو تعويضات الله لنا. فإن ضحت في أحد جوانب حياتها بشيء ما مهم لها، كانت تؤمن أن الرب سيعوضها عنه بطريقة أخرى. ولست أتحدث عن الأمور المادية. وكثيراً ما كان الرب يرسل لها صديقة تقضي معها بعض الوقت، أو خطاباً لها، أو نصنع معاً شيئاً خاصاً متميزاً كأسرة.

وأهم جزء في هذا السلوك هو أن سالي، في كل حياتها، كانت تتطلع إلى صلاح الله في أمور الحياة الصغير منها والكبير. وقد نقلت لي هذا السلوك، وللأولاد أيضاً، وكان بركة عجيبة لنا جميعاً.

أذن مصغية:

ليس هناك بديل للإصغاء لأولادنا. لقد أدركت مبكراً في حياتي، أننا نحتاج إلى أن نعمل معاً أموراً مشتركة، مما يسمح لي بسماع أصوات قلوب الأولاد. وأؤمن بشدة أنه لكي أدخلهم إلى عالمي، يجب أولاً أن أدخل أنا إلى عالمهم. وآمنت أيضاً، أنه يلزم علي أن أنشئ جسراً من الصداقة معهم، يسمح لهم

بمعرفة أنه يمكنهم الحديث معي أو مع سالي في أي وقت يشاءون.

وكثيراً ما لعبت مع ماثيو البلياردو. كما أوجدنا حباً مشتركاً بيننا لألعاب الفيديو. أما ميشا، فكثيراً ما أصطحبها لدور السينما، وللمتحف أو لكافيتريا لشرب الشيكولاته الساخنة. وكانت سالي تقوم بنفس الشيء مع الأولاد بانتظام، مقدمة وقتاً خاصاً لكل واحد منهم.

هناك أوقات ينبغي فيها الإصغاء لأولادنا، فغالباً ما يتكلم الآباء بينما الأولاد ينصتون. ولكن ينبغي أن نتعلم أن نعكس الدور، ليصير الآباء منصتين جيدين. فهذا يبين أننا نعتبر أن أولادنا مهمون في حياتنا، وأننا نحترم مشاعرهم وعواطفهم.

وكنا، دائماً، نشجع الأولاد على إشراكنا معهم بأمانة – في أحاسيسهم ومشاعرهم ونأخذها بجدية. وندعهم يعرفون أنه مهما كانت مشاعرهم، فهي مقبولة لدينا. وأعتقد أنه من المهم أن نوضح لهم – بسلوكنا – إمكانية أن يكونوا أمناء معا ومع الله.

المثابرة في الصلاة:

حاولنا أن نعلّم أولادنا الاتكال على الرب بالصلاة من أجل كل شيء يحدث في حياتهم. أعتقد أنه من الأهمية القصوى أن نعطي أولادنا الفرصة لاشتراكنا معهم في عواطفهم – بأمانة – ولكن بعد ذلك يجب أن نتخطى ذلك إلى الحديث مع الله عن مشاعرنا. وبالصلاة المشتركة مع أولادنا، وتشجيعهم على التعبير لله بكل قلوبهم، فإننا نعلمهم أن الله جدير بالثقة وأنه مصدر الثقة، وأنه يقبلنا، وأنه طويل الأناة، وصبور، وأن لديه وقتاً لهم.

وعندما ترد الاستجابة لصلواتهم يتعلمون أن الله منشغل بحياتهم. ولابد أن نعلمهم – بوضوح – أن الله كثيراً ما يستجيب لصلواتنا بطرق لا نتوقعها أو نحبذها.

الضيافة الأسرية والكرم العائلي:

لابد أن نعلمّ أولادنا بركات كرم الضيافة. وسواء تكفلنا ببعض الأطفال، أو دعوناهم إلى منازلنا، أو دعونا الغرباء إلى الطعام، أو أنفقنا بعض الوقت مع الأصدقاء، فإن الضيافة تبيّن مواضع أولوياتنا. فالإنسان له الأولوية على المشروعات والبرامج.

وينبغي أن نشرك أولادنا معنا في تقديم الضيافة الأسرية.

فيمكنهم المشاركة في عملية الإعداد للطعام، أو تنظيف المائدة بعد ذلك. ومشاركة الضيوف في المائدة، والاستمتاع بصحبة الناس الذين أرسلهم الله لمنزلنا فرصة عظيمة للتعلم.

ومنذ سنوات عديدة مضت، ظلت امرأة فاضلة عجيبة، من أبناء الله، تتحدث مع ماثيو لعدة ساعات بعد الطعام، تحدثه عن اختباراتها في الحياة، وتصغي إليه وهو يحدثها عن أمور استمتع بعملها. فكانت ثمرة غير متوقعة للضيافة في بيتنا، وكانت تعني الكثير لنا ولماثيو.

منذ بضع سنوات انتقل أصدقاؤنا جيم ورونا جيلكريست Jim and Rona Gilchrist للمعيشة في أوتارا وهي جزء من أوكلاند في نيوزيلاندا. ومدينة أوكلاند هي بالفعل أكبر مدينة بولينيزية في العالم. فيعيش في أوكلاند سكان أكثر بكثير ممن يعيشون في أية مدينة أخرى، بما في ذلك سكان جزر جنوب الباسيفيكي.

وكانت تحيط بهم عصابات التونجان Tongans والساموان Samoans وغيرها من شباب الجزيرة. وفي ليلة انتقالهم إلى تلك المنطقة السكنية، كان هناك قتال بين العصابات في الشارع المقابل لهم. وقد حاولت إحدى العصابات حرق بيت لعصابة

أخرى وبعد ذلك بليلتين، كانت هناك محاولة اغتصاب فتاة على بعد بيتين من بيتهم. وبعد ذلك حدثت جريمة قتل على بعد أربعة بيوت منهم. فأحس جيم ورونا أن الرب قد دعاهم إلى تلك المنطقة السكنية، للانشغال بحياة أولئك الشباب، وعلى مدى السنوات اقتنصوا للرب نحو مائة إنسان، بمعدل خمسة وعشرين فرداً في السنة.

فهل أثر هذا على أولادهم الثلاثة؟ نعم، ولكن ليس بطريقة سلبية. فجميعهم يحبون الرب، وبالأكثر من أجل التزام جيم ورونا بالانشغال بهؤلاء الشباب في المدينة، وفي المنطقة السكنية التي يقيمون فيها.

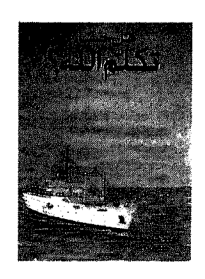
قد لا تكون أسرتك مدعوة للمعيشة في منطقة الحانات، أو مع العصابات، ولكن كل أسرة لها دعوة من الله. فالدعوة لك الآن أن تكتشف هذه الدعوة، ولكن بالتأكيد هناك دعوة لك.

وبالتزامنا بأسلوب حياة الخدمة، في المدينة التي يقودنا الله إليها، فإننا ندخل الفرح العظيم إلى قلب أبينا السماوي. بل وأيضاً نجتاز رحلة من الألم والمجد، وفيها التحدي لنا، والأهم من ذلك فيها التغيير لحياتنا.

فليس الوقت متأخراً أبداً على بدء الرحلة.

إصدارات

مكتبة المنار



Is that Really You Lord?
By Loren Cunnigham

يأخذك الكاتب في رحلة جميلة حول العالم لتكتشف قصة شاب في العشرين من عمره، رأى رؤيا وقد تحققت في أنحاء العالم. ويصف الكتاب بوضوح مبادئ "سماع صوت الله"

١٦٨ صفحة



Joni
By Joni Eareckson

هذه قصة نادرة عن صراع شابة مع مرض الشلل الذي أصابها وهي في ربيع عمرها، وفي صراعها مع المرض سلمت حياتها للرب يسوع. واستخدمها الرب بقوة

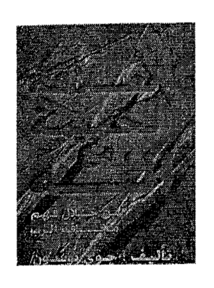
٢٤٤ صفحة



Winning God's Way
By Loren Cunnigham

يمر الكثيرون بحالات الشعور بالإحباط وضعف العزيمة هذا الكتاب يشرح كيفية إنعاش الحياة الروحية، ويعرض لنا سبيل الوصول إلى حرية جديدة وشعور بالفرح واختبار قوة الله من خلال مبدأ "التخلى عن الحقوق"

١٣٢ صفحة



Intimate Friendship with God
By Joy Dawson

هذا الكتاب يدفعك بقوة لكي تتمم شروط الكتاب المقدس للعلاقة الحميمة مع الإله الحبيب وكيف تبدأ هذه العلاقة الرائعة.

ستفهم من خلال قراءة هذا الكتاب معني مخافة الرب، التي تطرد من حياتك كل مخاوف أخرى.

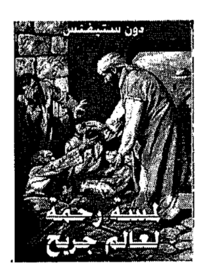
١٣٦ صفحة



Stand Up and Fight
By Barry Austin

استخدم باري اوستن خبراته العملية لكي يوضح كيف علمه الله أن "يميز هجمات الشيطان، وكيف ينتصر عليها"

١٥٢ صفحة



Mandate for Mercy
By Don Stephens

كتبت هذه الكلمات لتمنحك نظرة مختلفة للعالم من حولك وتشجعك لتخطو للأمام من أجل الفقراء والمحتاجين لكي تظهر لهم محبة الله الفائقة من خلال "خدمات الرحمة"

١٤٨ صفحة



The Seed of Abraham
(The Family)
By Percy Rolf

دراسة روحية تأملية رائعة في سفر التكوين لتوضيح الأحداث التي وردت حول (إبراهيم، اسحق، يعقوب ويوسف) يلقي الضوء على مقاصد الله الأبدية لخلاص كل ذرية إبراهيم الروحية.

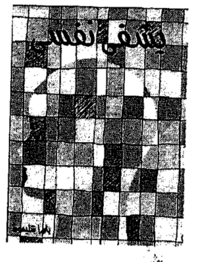
١٤٤ صفحة



The Seed of Abraham
(The Birth of a Nation)
By Percy Rolf

دراسة روحية متعمقة تبحث وتتأمل، في الأحداث المذكورة في سفر الخروج وتلقى الأضواء على فريضة الفصح والرموز الروحية التي تشير بوضوح إلى الرب يسوع "حمل الله" الذي رفع خطية العالم.

١١٢ صفحة



Healing the Hidden Self
By Barbara Shlemon

يتكلم عن الشفاء الداخلي، ويتناول كل فصل مرحلة معينة من العمر بدءً بفترة التكوين، وحتى مرحلة النضوج، شارحاً المشاكل التي يمكن أن يواجهها المرء في كل مرحلة، وكيفية الحصول على الشفاء من نتائجها.

١٩٢ صفحة



Walls of My Heart

By Dr. Bruce & Barbara Thompson

يقدم هذا الكتاب فكرة الشفاء، ويقود الشخص للتحرر من المشاكل النفسية. كما يهدم ما بناه الشخص حول نفسه من جدران، ليبدأ الروح القدس ببناء أسوار جديدة للخلاص والتسبيح والفرح.

٢٧٦ صفحة



Prayer Shield

By Dr. Peter Wagner

يقع الرعاة والخدام تحت ضغوط كثيرة، وغالبا ما نطلب منهم أن يصلوا من أجلنا – لكن هذا الكتاب يشجعنا أن نصلي من أجل الرعاة والقادة والخدام، ولكل من يحملون مسؤولية في الكنيسة.

٢٤٠ صفحة



Journey into Life

By Rudi Lack

يحتوي الكتاب على ٥٢ تأملا رائعا.تكتشف من خلال صفحات الكتاب أن يد الله تعمل في العديد من البلاد في جميع أنحاء العالم. وسوف تمجد الله من أجل صلاحه وأمانته في كل مواقف الحياة

١٣٢ صفحة



Spiritual Warfare

By Dean Sherman

كتـاب يقـدم دراسـة عميقـة متزنـة عـن المواجـــهات والتحديات التى تقابلنا كل يوم من العالم الغير مرئى ويوضــح مــا ينبغـــي أن تكـــون عليـــه الحـــرب الروحية.إنه موضوع حي، متصل بواقعنا المعاصر.

٢٣٢ صفحة



Daring to Live on the Edge

By Loren Cunnigham

يعلمنا هذا الكتاب أنه يوجد إله قادر على تسديد كل الاحتياجات بغنى

ويشـــجعنا أن ننطلـــق في مغـــامرة الإيمـــان والطاعـــة والسخاء، ويكشف لنا عن سر "الاقتصاد الإلهي"

٢٥٦ صفحة



Discovering Your Destiny

By Floyd McClung

كيف تكتشف مصـيرك، وتعـرف إرادة الله لحيـاتك؟

هناك الكثير من القرارات المهمة التي تحـــدد مصيرنـا ومستقبلنا، ماذا أعمل، بمن أتزوج، أين أعيش؟

إنه كتيب يدربك على معرفة مشيئة الله في حياتك.

٧٢ صفحة



How to Overcome Sin?

By Floyd McClung

ما هي التجربة؟ وما هي الخطية؟ وكيف تتجنبـــهما؟ بين صفحات هذا الكتيب تدرك أن قوة الله أقوي من قوة الخطية وتعرف سر النصرة في الحياة المسيحية.

٨٠ صفحة

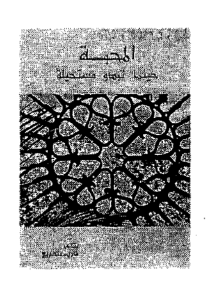


Where will I Find the Time?

By Sally McClung

هـذا الكتـاب يضـع بـين يديـك المبـادئ الأساسـية البسيطة التي وضعها الله لكي نستمتع بكل ما وهبه لنا.ونعرف كيف نخصص وقتا للأسرة، وقتا للزواج، وقتا للصداقة، وقتا للعمل، وقتا للمرح، وقتا للشفاء، وقتا للتجديد.

٢٠٨ صفحة



Learning To Love People you Do not Like

By Floyd McClung

تتعلم من هذا الكتاب كيف:

- تنتصر على الخلافات وعدم الفهم.
- تغفر للذين يسيئون إليك.
- تختبر قوة شفاء الله لجروحك القديمة.
- تبنى علاقات مبنية على الثقة والقبول.

١٧٦ صفحة

كيف يمكن للمسيحيين مواجهة تحديات المدينة؟

• فى سنة ٢٠٠٠ يصبح عدد سكان المدن فى العالم ثلاثة مليارات نسمة.

• عندما نفكر فى المدينة يتكون فى أذهاننا صورة سلبية، مبنية على التقارير الإخبارية عن عنف العصابات، وحرب المخدرات، والشباب العاطل، والناس المشردين، وكأنه لا يوجد هناك أمل.

وهذا الكتاب:

• يوضح حقيقة أن قوة الله وقدرته أكبر بكثير من خطايا المدينة.

• ويقدم لنا خطة الله الأصلية ومقاصده السامية تجاه المدينة.

• ويشجعنا لكى نعيش فى المدينة ونحن ثابتين فى الإيمان.

